

الفصل الأول

مطلع الفجر

أبدأ سلسلة اختباراتى فى الروحية بذلك اليوم الذى فيه سمعت محاضرة ألقاها أحد صيادلة الفيوم المرحوم فوزى افندى غبور الديرى بدار جمعية أصدقاء الكتاب المقدس .
فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٧ كنت أسير مع صديق لى بأحد شوارع الفيوم ، وإذا بصديق ثالث يمر بنا مسرعاً ، وبالسؤال عرفنا أنه ذاهب لسماع محاضرة عن « مناجاة الأرواح » .

استرعى انتباهنا غرابة الموضوع فاصطحبنا هذا الصديق إلى حيث مكان الاجتماع ولم يخل سيرنا من دعايات فقال صديقى الأول من يدري فرمما المحاضر سيحضر معه هيكلًا عظيمًا وبقوة سحرية يستدعى روحاً من أرواح الموتى لتلبس الهيكل فتناجينا ونناجيهما ، وقال الزميل الآخر ، ولِمَ لا نقول إنه سوف يدعونا لزيارة أحد المقابر ، وهناك بقدرة قادر وبما لديه من عناءهم وتعاويد ينادى الموتى فيخرجون من مقابرهم ليخاطبونا ونخاطبهم ، فقلت وقد يرسو الحال على إحضار زجاجة بها روح النعناع أو روح النشادر .

وهكذا أخذنا نتبادل النكات حتى وصلنا قبل بدء المحاضرة بقليل .
وقف المحاضر وأخذ يظهر كيف بلغت الأبحاث الروحية فى أوربا وأميركا منزلة جليلة وترقت رقيًا باهرًا . مع أنك تجد بلادنا الشرقية — وهى موطن الأنبياء والروحانيين لم تتقدم فى هذا المضمار قيد شبر فى عصر الرق والنور ، بل أهملت تراث الآباء واكتفت بالقشور دون اللباب نفخمت فى جوها عناكب الشعوذة والتدجيل حاملة اسم الروحانيات .

بعد ذلك أخذ يدعم أقواله بمجواث غاية فى الغرابة أذكر منها ما وقع للعلامة السير أولفر لودج وكيف أن ابنه ريمون ، وكان قد قتل فى الميدان إبان الحرب العالمية الأولى ، حاول الظهور لوالدته ذات ليلة عقب انتقاله بينما كانت مستلقية على فراشها وقبل أن يداخلها النوم . شعرت به وهو يقترب منها محاولاً الظهور لها ولكنها انزعجت وخرجت تجرى إلى غرفة زوجها تروى له الحادث فطمأنها وطلب منها أن تهدى روعها وتستقبل ابنها على يحمل برسالة لها .

رجعت لغرفتها حيث حاول ريمون الظهور لها من جديد ، فتجلدت ورحبت به ليطلب إليها النزول مع والده إلى ركن معين بحديقة الدار ، وهناك يحفران حوالى النصف متر حيث يجدان ملفاً من الأوراق طلب تسليمه إلى فتاة تسكن فى دار معينة .

كانت الليلة قارسة البرد ، ولكن رغم ذلك قام العلامة الروحى بتنفيذ طلب ولده ليقف على مبلغ هذا الاختبار الروحى من صحة . وهناك وفى المكان المعين عثر على الملف المذكور فحمله واستصحب زوجته إلى الدار التى عينها ابنه .

قرع الباب ففتحت له سيدة متوسطة العمر ، وبينما هو يسألها عن الفتاة ذا كراً اسمها خرجت هذه وكانت على قسط وافر من الجمال ، وحالما وقع بصرها عليه تذكرت ريمون ولم تكن قد سمعت خبر انتقاله فتبادر إلى ذهنها أن الوالد قد أتى نائباً عن الابن فى طلب يدها ، ولكن سرعان ما خاب ظنهما عندما تناولت الملف لتجد به ماسبق وأرسلته من خطابات ريمون أثناء وجوده بالميدان ، وقبل أن تفيق من دهشتها بادرها الأب بقصة ابنه من وقت ظهوره لوالدته حتى تسليم الملف .

ما كادت تتأكد خبر « موت » حبيبها حتى وقعت مغشياً عليها ، وبعد أن أفاقت من غشيتها أخذت تسرد قصتها مع ابنه ، وما كانت معه على وعد بالزواج عقب رجوعه من الميدان وأخذت تطلع الأب على محتويات الملف وقد أخذ بما سمع من الفتاة ، إذ أنه لم يكن يدرك من قصة ابنه معها شيئاً .

كنت أسمع القصة كباقي الحاضرين ولولا حدوثها لعالم كهذا له مكانته العالية لكنت قد نسبتها للخيال والحبل .

خرجت من الاجتماع وقد امتلأ رأسى بمادة للتفكير ، ولكن غرابة الحادث ومخالفته لما هو معروف عن الموت وقد علمه لنا رجال الدين من أنه رقاد فى القبر حتى يطلبنا ولى الأمر جعلنى أنأرجع فى تفكيرى بين عاملى الشك واليقين إلى أن كنت بمكتبى فى اليوم التالى ، وإذ بأحد أصدقاء مدير المكتب وهو موظف كبير بمديرية الفيوم ، يحضر كمادته لزيارة صديقه وبادرنى بطلب إبداء رأى عن محاضرة الأمس فأظهرت له دهشتى وميلى إلى التصديق بصحة ما سمعت خصوصاً وأن الحادث قد وقع لشخص غير عادى ، بل لمن يعد فى مقدمة علماء إنجلترا بل شيخ العلمين وكبير العلماء الروحانيين فى زماننا ، وقد كافح طيلة حياته كفاح العالم المنطيق فى سبيل العلم الروحى الحديث أيام كان أستاذاً للطبيعة فى جامعة نبرول وأيام كان مديراً لجامعة برمنجهام وبعد تقاعده عن الوظائف وتفرغه للبحوث والمحاضرات

فهذا وأكثر من هذا مما ذكره المحاضر عن هذا العالم الجليل يدفعني دفعاً إلى تصديق ما سمعت . فأشار على باستعارة كتاب له عند المحاضر يسمى « تجاه السكواك » .

ذهبت توأ عقب الانتهاء من العمل لأسأل المحاضر الكتاب .

أقبلت على قراءته بشغف عظيم ولم أتم الليل حتى أنهيته ، فازدادت دهشتي واشتد إعجابي بهذا الموضوع الشيق عندما قرأت لأحد كتاب الإنجليز المدعو دنس برادلي H. Dennis Bradley وكثيراً ما كان يهزأ بالروحية ناسباً إلى بحانها الهوس والجنون .

زار صديقاً له شغف بهذا العلم ويدعى جوزيف دي ويكوف بناء على دعوة منه للإقامة بقصره الربيعي الواقع بإحدى قرى مقاطعة نيوجرسي .

وكان الشخص الوحيد الآخر في ضيافته ابن أخته المستر جوزيف داشير وهو طالب في العشرين من عمره .

أراد الكاتب أن يجرب حضور جلسة على سبيل التسلية فلم يرفض دعوة مضيفه الذي أبق إلى وسيط يدعى جورج فالينتين .

وهنا أترك المجال لبرادلي ليتكلم عما رأى ويتحدث عما شاهد حيث قال :

« انتخبنا غرفة ليمقد فيها المجلس أو الاجتماع حسبما يروق للإنسان أن يسميه ، وكانت الغرفة التي اخترناها من غرف اللبس . متوسطة المساحة ذات نافذة كبيرة وبابين أحدهما يفتح على غرفة الاستحمام المتصلة بغرفة نومي ، والآخر يفتح على الممر وبها قليل من الأثاث . وأثناء الجلسة أغلقنا بابها بالأقفال ووضعنا خلف كل منهما قطعة من الأثاث حتى لا يتمكن أحد من الدخول أو الخروج .

وضع صديق « دي ويكوف » حول معصمي الوسيط سوارين مضائين تظهر أي حركة تبدو منه في الظلام ، وجلسنا في مقاعدنا على شكل دائرة أو بعارة أخرى في أربع زوايا من مربع يبعد كل منا عن الآخر خمسة أقدام تقريباً ، ووضع بيننا بوقين من الألومنيوم « قيل إن الأرواح تستعملهما في تقوية أصواتها الخافتة » ، وطلبت أطرافهما بطلاء مضيء وأطفئت الأنوار : فبدأت لي كل هذه الأعمال كأنها نوع من السخف ، وعجبت كيف يستسلم أناس مهذبون لمثل هذا النوع من التسلية الصبانية ، ودهشت لميل عقل نير كمقل مضيق دي ويكوف لصرف وقته في مثل هذه الترهات .

وأخذنا نتحدث بأصوات عادية حسبما يدور برؤوسنا من الكلام ، وكمن من النبأوة بمكان أن يتسامر الرجال في الظلام لتمضية الوقت . ولما لم يحدث شيء غنينا أناشيد كما يفعل

عمال المناجم المقبورون لتسهيل ساعات العمل . وكنا كلنا ذوى أصوات منكرة وكان صوتي أنكر الجميع . ثم عدنا للتحدث فشعرت بضيق أنفاسي واشتد سخطي على غباوة هؤلاء الخلق . فقد كان في الخارج كتب أود قراءتها ، وكونياك طيب كنت على شوق لاحتساؤه . وبدأ لي أن حياة اللهو اليومية لأفضل من هذا المعرض معرض البلاهة والسخف .

ثم رننا بأصوات أشنع . وإن كانت الغاية من الترانيم حسنة إلا أنني أمقت توقيع ألحانها وأكره نظمها الركيك ، ويشور عقلي ضد توسلات المداهنة للإله الذي يغضب بلا شك من أمثال هذه التكريرات المملة ، ولو كان الغناء يحقق غرضاً معيناً أو يصلح من التخاطب لما أفاج في هذه الحالة .

« انقضت عشرون دقيقة » .

عندئذ جال في خاطري : أردت التسلية فتولاني السأم واعتزاني الحنق ونفذ صبر سكوتي على هذه الخزعبلات .

وعدت غير راغب في الاستزادة منها وزالت عواطف تشوقي لما هو غريب ، وسخرت من مقام هو أشبه بمعرض للسخف والاستهتار . وتجمد أنني سخطاً وتدلّت شفتاي امتعاضاً . ولكن لحسن الحظ كانت ملامح وجوهنا لا ترى ... وعلى غرة حدثت العجيبة الخارقة .

فقد ساد فجأة سكون تام ، وفي لحظة شعرت بوجود شخص خامس في الغرفة واخترق السكون نغمة رقيقة ناعمة لصوت سيدة نادتنى باسمي . وكان صوتها الذي سمع على بعد ثلاثة أقدام من يميني شديد الانفعال ، فهاكت كعادتي شعور رزائتي ودقة بحثي وقوة ملاحظتي ولم تعروني رعدة أو اضطراب وأجبت بلهجة طبيعية « نعم » فكرر الصوت اسمي مرتين بحالة ثم على وفرة الانفعال ، كما لو كانت صاحبتة شديدة الاغتياب بما فوق الحد لقدرتها على تحية حبيب تلاقى به بعد فراق طويل ، ثم دار الحديث الآتي بيننا :

ه . د . ب : نعم ها أنذا . ماذا تريدن أن تقولى .

الصوت : أوه . أحبك . أحبك .

« وصدرت هذه الألفاظ بعذوبة خلابة وحنان عظيم . ورغماً من أنى سمعت هذه العبارة عيها تصدر عادة من أفواه الممثلات القديرات في الدنيا ولكنى ما سمعتها قط تقال بمثل هذا الحنان الفياض » فراجعت ذاكرتي فيما مضى لعلى أذكر امرأة أحببني فلم أفر .

ه . د . ب : ألا نتكلمين بتعريف من أنت وما اسمك ؟

الصوت : « أنى »

عندئذ أدركت كل شيء ولكن بذلك الارتياح الغريزي الذي يداخل الإنسان عندما يتصل بشيء غامض وطلبت منها أن تذكر لي اسمها كاملاً .
الصوت : أنا أنى أختك .

ودار الكلام بيننا بلهجة جليلة مسموعة وبصوتين في مستوى واحد كما لو كنا نتكلم ونحن على الأرض وقيلت كل كلمة على مسمع من الثلاثة الرجال الموجودين في الغرفة وإني على يقين أنهم جميعاً كانوا يجهلون تماماً شؤني العائلية ولا يعلمون قط أن قد كافي لي أخت توفيت منذ عشر سنوات .
وحال وجودها على الأرض كنا نتبادل معا شعوراً خاصاً وتفاهماً عقلياً غير مألوف بين أخ وأخته .

وما كان عقلي الثائر الجامح المدقق العنيد في أيام شبابي يرضخ لغيرها من أفراد عائلتي وكنا نتبادل بيننا إحساساً نادر الرقة بلا أدنى تكلف وكانت تكبرني ببضع سنوات ولها ملكة عقلية ارتقت بسرعة غريبة وبلغت من سعة الاطلاع درجة تحسد عليها وكانت في حال حياتها على الأرض ذات صوت رقيق جميل الوقع على السمع ومنطق فصيح ممتاز على الدوام ولها تدقيق مفرط في انتقاء الألفاظ ولم تصادفني قط سيدة تتكلم بأسلوبها هذا الفذ .

فلما خاطبتني بعد صمت عشر سنوات تجلى ذلك الأسلوب الخاص ونفس المنطق في كل عبارة من كلامها وظهرت في لهجتها كل خواصها الدقيقة للغاية وتحديثنا حوالى خمس عشرة دقيقة في أمور لا يعرفها غيرنا وعرفتني أنها كانت تحاول منذ عدة سنين الاتصال معي الكلام وأنها كانت تلازمي على الدوام وترعاني وتصاحبني في رحلاتي وأنها على علم الكتب التي ألفتها وبكثير من الأمور التي حدثت بعد وفاتها وقالت أنها كانت تحضر إلى في ساعات انفرادي بمكتبتي عند اشتغالي في التحرير وتغذى عقلي بالأفكار وأثناء تحديثنا عن مؤلفاتي لمخل صوتها رنين العذوبة والرقة لما قالت « كنت دائماً أحيطك بكل عنايتي عندما كنت تمكف على تحرير كتبك » ولما سألتها عن حياتها في العالم الآخر أجابت « إنني أنعم سعادة تامة خالية من الآلام وإنها حياة عجيبة » أما سرورها فقد كان فوق الطاقة لتمكّنها من وسائل التخاطب معي . وأخيراً شعر كلانا عندما طال الحديث أننا أجحفنا بحقوق بقية الحاضرين لإشغال معظم وقتهم في الإصغاء لحديثنا الخاص (وكنا طول مدة حديثنا في غاية لعبطة . سرورا بالبقاء بعد موت الجسد وفرحاً بالحياة الأبدية . ولتحقيقنا آمالاً خارقة وبلوغنا فجر الوجود غير المدرك) وقبل مبارحتها طلبت منها أن تعود لمكالمتي في الليلة القادمة

فوعدتني بذلك وحيا كل منا الآخر قائلا (ايلتك سعيدة) وسمعت منها رنين قبلة عالية عندما همت بالرحيل !

في اليوم التالي أرجعت الكتاب لصاحبه الذي بادرني بالسؤال إذا كنت أرغب في مخاطبة أحد في عالم الروح ، ولما كانت أمنيته تطبيق العلم على العمل ذهبت لزيارته مع صديق لي .

رحب بنا وأدخلنا إلى غرفة الجلوس حيث أعد لنا منضدة مستديرة الشكل ملاء السطح وقد كتب على حافتها الحروف الأبجدية ، وفي وسطها وضع فنجان عادي . وهنا شرح لنا كيف أننا سنجلس حول المنضدة في ضوء أحمر خافت وكل منا يلمس الفنجان بأصبعه دون أن يضغط عليه حتى لا تعاق حركة ، وبعدها تفكر في الروح المرغوب الاتصال به فيأتي هذا ويتحركه الفنجان نحو الحروف الأبجدية تتلقى الإجابة على ما نطرح عليه من أسئلة .

ولما كان الأنبا إبرام معروفا ولا سيما لأهل الفيوم اتفقنا على تركيز تفكيرنا فيه مستمعين في ذلك بالتحديق في صورة له كانت معلقة بالغرفة .

جلسنا حسب التعليمات وبدأنا بتلاوة الصلاة الربانية أعقبها صمت تام . استمر بنا حوالى النصف ساعة على هذا الوضع دون الوصول إلى نتيجة ما — كررنا الجلوس ولكن بدون جدوى .

أخيرا استعمرت المنضدة على أمل مداومة الجلسات حتى الوصول إلى شيء ما . وحدث ذات ليلة أن جلست مع أخى نجيب ووضعنا أصابعنا كالعادة ، ولم تمر عشرة دقائق حتى سمعنا دقة قوية على مكنتي وكان على بعد مترين منا ، وفي نفس الوقت جذبت أيدينا مع الكوب بعنف حتى حافة المنضدة بشكل لو حاولناه من أنفسنا لوقع الكوب على الأرض وتهشم ولكن الدهشتنا لم يسقط الكوب رغم شدة الحركة ، كما وأن الخبطة بلغت من الشدة مبلغا أزعجنا وجميع من كان معنا بالغرفة وقام كل منا وهو يرسم علامة الصليب للطمان .

بعدها توجهنا جميعا وأنا في المقدمة إلى حيث المكتب لنرى ما أولئنا إلى سقوط شيء من سقف الحجرة ولكننا لم نجد شيئا . عدنا فأولئنا إلى تشقق بالخشب نتيجة عوامل جوية ورغم أن في جودة الخشب ما يكفي لإبعاد فكرة كهذه ، فقد قت بفحص جوانب المكتب بكل دقة وأخرجت جميع الأدراج وفحصتها جيدا فلم يكن بها أى أثر .

ونحن وإن كنا لم نتوصل إلى شيء هام إلا أن ظواهر غير عادية كهذه قوت فينا مادة التفكير . ولما أعميتنا الحيل في تحليل ما حدث وجدنا أنفسنا مدفوعين إلى إرجاعها إلى قوة غير منظورة خارجة عنا ، وكان في هذا الحادث رغم تفاهته ما دفعني بشدة إلى البحث وراء هذا السر الدفين .

أعقب هذا الحادث بما يقارب ستة أسابيع ما حفزني إلى اجتلاء كنه هذه القوة إذ مرض والدي بالكبد وأجريت له ثلاث عمليات ولكن جسم شيخ في السبعين ، وقد غدا هيكلًا عظيمًا لم يقو على احتمال أكثر من ذلك ، فقارقت الروح بعد أن عانى هيكلها الترابي عذاب المرض شهرًا كاملاً فازددت بذلك حنينًا إلى الاتصال به وما دام غيرى قد جرب ونجح فلم لا أنجح ، وقبل الانتقال إلى وصف كيفية اتصالى بغير المنظور ، وما استلزمت من صبر ومثابرة أذكر بعض حوادث وقعت لي قبل وبعد الانتقال وهي لا تخلو من فائدة .

كان المستشفى حيث أدخل والدي للعلاج بالقاهرة ووجودى بالفيوم كان يستلزم سفرى كلما سنحت الفرص وخصوصًا أيام الآحاد .

ففي يوم السبت ٢٩ يناير سنة ١٩٣٨ وبعد خروجى من الحمام جلست على سريري وأخذت أعزف على العود ما عنى لي من أغاني وأناشيد ، وعلى حين غرة شعرت بميل شديد إلى عزف أنشودة كنسية تعودنا ترتيلها أيام التلمذة :

لى أكشف يا علام نهايتى وكم هى الأيام فى غربتى
كى ألزم الكمال عالم أنى خيال
جمعت للزوال من نشأتى

وسرعان ما تذكرت الأنشودة رغم مرور السنين الطويلة دون إنشادها ، فشعرت بانسجام مدهش وبلذة لم أعهد لها من قبل ، وبموجة كهربائية كانت تقوم فى كيائى وتغمره من وقت لآخر . استرسلت فى تكرارها وترتيلها بكل ما فى من حس وشعور على نفثات العود الموسيقية حتى سالت مدامى وأغمضت عيناى ، وهنا شعرت بهاتف يطلب منى رفع صلاة خاصة من أجل الوالد الذى هو على وشك أن يفارق الجسد إلى حيث راحة الحياة الخالدة .

لم أجزع لفكرة انتقال الوالد ، بل ركمت حيث كنت ورفعت الصلاة طوعًا لهذا الهاتف رغم عدم مرااتى على الصلاة فكانت حارة بدرجة أن نسيت نفسى وكيائى إلى حين ، وشعرت بما لا تستطيع لغة الأرض التعبير عنه .

انتهت الصلاة واستسلمت للسكرى لأحلم بوالدى داخل حديقة غناء ولنجد أخاه « يوسف »
المنتقل من زمن ، وبعد قليل ودعتهما وخرحت .

استيقظت قبل مطلع الفجر وتذكرت الحلم كاملا ومنه استنتجت أن الفراق قد تم .
وبهذه المناسبة أذكر بعض أحلام أفراد العائلة ليرى القارى مبلغ توافقها .
ففى نفس الليلة حلمت زوجة أخى نجيب « بنى حدير » أن ساعة الحائط تهشمت بقوة
خفية لدرجة يتمذر إصلاحها .

ووالدى بمصر سمعت وهى فى تمام اليقظة فجر يوم الانتقال صوت هاتف يقول « اسحق
مات » ، فقامت مترجمة وهى تقول « اللهم اخزيك يا شيطان » ، فاستيقظت أكبر إخوتى
البنات « نجس » لتروى لها حلمها وكيف أنها رأت أكبر مصابيح المنزل وقد أطفئ فجأة .
حاولت إنارته ولكن بدون جدوى .

وكما قلت سابقا لم تزججنى فكرة الانتقال ، ولم يقلقنى إعلان فراق الوالد ، بل بالعكس
رأيت فى ذلك راحة له مما كان يعانيه من آلام بالجسد ، ولولا يقينى المبني على المعرفة
لا الإيمان المجرد ، بأن انتقاله يعنى فراق عالم كله آلام إلى عالم كله راحة لما استطعت أن أرفع
صلاة فيها أطلب له سرعة ترك خيمته الأرضية .

فى الصباح ركبت القطار ميمما شطر القاهرة كمادنى فى صباح كل أحد . تخلفت بالعدوة
حيث قد انتقل أخى الأكبر كناظر لها ، وأنا خارج من القطار شاهدت أخى بمكتبه أمام
آلة التلغراف — وقد انتهى من تسلم التلغراف وأخذ يجهمش فى البكاء والنحيب بصوت
مسموع وعندها أدركت حقيقة ما اختبرت فى اليقظة وفى المنام . أخذت فى تهدئته ورافقته
إلى المنزل وهو يقع خلف المحطة مباشرة حيث شاركته العائلة من زوجة وأولاد البكاء .

حان موعد أول قطار للقاهرة وقد عزمنا على السفر معا إلى حيث باقى العائلة ، وكان أخى
قبل ذلك قد أشار على بالرجوع للقيوم لتغيير ملابسى بما يناسب ما نحن فيه .

فأجبتته على الفور بأنه لو كان الجو يسمح بلبس الأبيض للبدته ، ولكن برد ٣٠ يناير
القارس لم يكن يسمح بذلك ، وعرفته أن لبس الحداد على المنتقل هو عنوان الجهل بحقيقة
ما نسميه « موتا » ، ومن نكيه ونحزن لفراقه هنا يقابل بالفرح والسرور من الجانب الآخر .
بعدها استرسلت فى سرد ما اختبرت وما حلمت ليلا .

وصلنا جميعا القاهرة وقد كنت الوحيد بين أفراد العائلة من وجد من الشجاعة ما يكفى
لتعزيتهم فلم أذرف دما واحدا ، لا جفاء منى على الوالد ، وقد كان يعزنى وأحبه بل

لنعمة الروحانية الفياضة التي غمرتني ونور الحقيقة الذي أشرق بفتحه من حولي فكان اليقين التام والإيمان الكامل المبني على المعرفة بأن والذي لم يمت ولم يتلاش من الوجود بل انتقل إلى عالم أسنى وأرق فهل أبكى لربح أصابه وهل أحزن لنعمة حلت به !

كلا فالحزن على المنتقل هو نتيجة الجهل بحقيقة الواقع وبأن هناك عالماً يحيط بهالنا بل يحترمه وما نسميه بالموت ما هو إلا درجة في سلم الارتقاء يعقبه درجات قبل الوصول إلى نور السكال ، والجهل لعنة الله على الإنسان أما العلم فهو الجناح الذي به نظير نحو السماء . دخلنا المنزل حيث قابلتنا الوالدة مع أشقائى الأصغر سناً بالبكاء والعيول فازداد تأثري لدرجة لم أقو على احتمال النظر فهجمت على والدتي وامسكت بكلماتيديها مانعاً إياها من اللطم والصراخ وبعد أن هدأ الجميع تناولت الكتاب المقدس وبدأت بقراءة الاصحاح الخامس عشر من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ولا سيما الأعداد ٤٢ - ٤٤ حيث يقول : -

« هكذا أيضاً قيامة الأموات يُزرع في فساد ويقام في عدم فساد يُزرع في هوان ويقام في مجد يُزرع في ضعف ويقام في قوة يُزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً . يوجد جسم حيوانى ويوجد جسم روحانى .

وهكذا وقفت بينهم مبشراً بحكم الظروف رغم ما أحمله من كراهية لمهنة كاهناريا ولإنكار للحقيقة ذلك الأنكار المبني على الجهل ولكنى كنت مدفوعاً بدافع النور الذي يطلب الإشعاع على الحزائى فشرحت على ضوء ما قرأت في الروحانية كيف أن لكل منا كما يعترف بولس الرسول جسمان جسم مادى وجسم روحانى بل إننا أرواح لها أجسام مادية وسوف يأتى الوقت لكل منا ليجتاز ما نسميه بالموت فنترك الغلاف المادى لنقوم في أجسام أقوى هى الأجسام الروحانية الحقيقية ومتى نقض بيت خيمتنا الأرضى فلنا في السموات بناء من الله بيت غير مصنوع بيد « أبدى » .

فالقيامة التى يتغنى بها رجال الدين وبؤجلونها إلى يوم غير معروف تعقب ترك الجسم المادى مباشرة فيرجع هذا إلى الأرض التى منها أخذ ونقوم نحن في أجسام تناسب البيئة الجديدة والتى كانت ملازمة لتلك الأجسام المادية طوال الحياة لذلك لا نفشل وإن كان انساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً قيوا .

وهنا وجهت الكلام لوالدتي فقلت أبعد هذا يحق لك أن تعملى ما بعد كفرأ والحادأ ؟ قالت أنا عارفة أنه حى في السماء متمتع بالأجساد السماوية مع الرب يسوع ولكن هى لوعة الفراق .

قلت لها وأين السماء هذه التي تذكرينها ؟

فأشارت بإصبعها إلى أعلا بعد أن رمقتني بنظرة استغراب وقالت « فوق »

قلت لها إن مارد دته من قول بأنه في السماء متمتع بالأجساد السماوية مع الرب يسوع لمى كلمات كنسية تعود من يسمون أنفسهم مسيحيين تعزية أنفسهم بأمثالها من كلمات جوفاء مبنية على مجرد إيمان أعمى بشيء مجهول وبذلك يخدعون أنفسهم قبل غيرهم لأنه رغم تقولاتهم قلوبهم مفعمة بالحزن والأسى على فراق أحبائهم لأنهم يجهلون مصيرهم ولا يعرفون أين هم ولكن شكرا لله على نور الروحانية ومالها من فضل في تعريفنا مصير هؤلاء الأحباب وفضلها على البشرية لا ينكره إلا كل أبله مأفون أو مغرض مجنون فالسماوات التي تشيرين إليها ليست بعيدة عنا بل هي حولنا ونحترم عالمنا . هي هذا الفضاء وما هو بفضاء بل عالم الحياة الحقيقة زاخر بكائنات حية مثلنا بل أكثر حيوية ندخله حال ترك الجسد .

وحقيقة الواقع أننا الأموات ما زلنا مدفونين في مقابر الجسد أما هم فقد قاموا من بين الأموات الذين هم نحن فالقيامة تعقب ما نسميه موتاً .

وهكذا إذا ما نظرنا إلى الطبيعة حولنا نراها مملوءة بالخدع ففدعما كان الإنسان يعتقد أن الشمس تدور حول الأرض وأن الأرض هي مركز الكون ولكن العلم كشف لنا الحقيقة وإذ بهما خلاف ما كان مألوفاً وكانت الأرض إلى عهد غير بعيد تعتبر مسطحة وأن السماء هي غطاء لها وإذا بالعلم بكشف عن كرويتها .

هذه وغيرها من خدع الطبيعة كشفها لنا العلم على مر الزمن وأصبحنا في ضوءه نرى أن كل ما هو منظور زائل غير حقيقي وكل ما هو غير منظور هو الأزل الحقيقي .

ولعل أكبر خدعة كشفها لنا العلم حتى الآن هي خدعة « الموت » وإذ به باب الحياة الحقيقة لا طريق للفناء .

وهكذا محا العلم تلك الغشاوة التي تراكت على أعين البشرية على مر الأجيال وأصبحنا في نور علم الروح الحديث نعرف مصيرنا وإننا كائنات أبدية كابدية الخالق .

استرسلت في تفسير لغز الموت واستطعت أن ألمح وجوه الجميع وقد لاحظ عليها علامات التعزية الحقيقية المبينة على المعرفة :

حان موعد النوم فأوى كل إلى فراشه فكان من نصيبي أن تنعمت بالحلم الآتي : —
رأيت والدي بملابس بيضاء ناصعة كالثلج ووجه مشرق جميل يترقق بماء الصحة الكاملة وقد فتحت ذراعيه مرحباً بي ثم ضمني إلى صدره وطبع قبلة أبوية كلها حنان على جبهتي

ولكن لدهشتي لاحظت علامات الكتابة على وجهه ثم أشار إلى الجهة اليمنى وقال « انظر يا نصيف » نظمت إلى الجهة المشار إليها ، وإذا بالدتي وأختي نجبية بملابسهما السوداء نائمتان على سرير وحال أن لمحتاه حاولتا النهوض لترحبا به ، ولكن كم كانت دهشتي عندما رأيتهما مربوطتين بسلاسل في أعمدة السرير .

استيقظت من الحلم وأخذت أتأمل فيما رأيت وعندها أدركت صدق الحديث « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » فعرفت ما للحداد ولبس الأسود من تأثير على المنتقل وما تسبب له من آلام نفسانية عندما يرى أهله وذويه ، ومن فارقهم إلى أجل مسمى في حزن ظنا منهم أن سراج حياته قد انطفأ ولم يعد له من وجود بينما هو يقف على الجانب الآخر وقد كشف الحجاب عن الحقيقة الخالدة فظهرت له سافرة . يحاول من جانبه أن يخاطبهم أو حتى يهزم من أكتافهم أو أيديهم ولكنهم لا يحسون ولا يشعرون « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » أى أن الموتى الأحياء يحاولون ما أمكن التأثير علينا لإشعارنا بوجودهم ، ولكننا لا نحس ولا نشعر ، وهل نحس بموجة الراديو وهي تحترق جسمنا ؟ هل نحس بالإشعاعات الأخرى التي تنعمرنا من جميع الجهات ليلا ونهاراً ؟

ولكن أولئك الذين لا يحزنون لا يقيم الحزن حجاباً بينهم وبين أحبائهم المنتقلين فيتمتعون بعلاقاتهم إما بالأحلام أو بالرؤى أو بمشاهدتهم عياناً في تمام اليقظة إذا كانوا ممن رزقوا الشفافية الروحية أولئك الذين عيونهم وآذانهم ومشاعرهم أعلى درجة اهتزازاً من العميون والآذان العادية أولئك الذين وهبوا الجلاء في العين وفي الأذن وفي المشاعر .

سردت الحلم لجميع أفراد العائلة موجهة كلامي على الأخص لوالدتي وأختي حتى نبذت الأسود بعد أن فكرت في صبع ملابسها تخاشياً لانتقاد الناس فقلت لها دعاك من الناس فقد أصبح من واجبنا الآن أن نحمل مشعل العرفان أمام الجميع لنضيء لمن هم في ظلمة الجهل بما وراء القبر .

هنا قد يتحزاق فئة الساديين من السيكلوجيين وخصوصاً مؤيدي نظرية العقل الباطن الواهية الأركان والتي يتخذونها محور ارتكاز لفلسفتهم ، فيقولون إن الرؤى والأحلام ما هي إلا هواجس وعواطف كبتت في بحر النهار ثم يعود العقل الباطن فيظهرها ليلاً في المنام . فأقول لو فرضنا أن رؤية والدتي وأختي بملابسهما السوداء هي من هواجس العقل المزعوم فكيف نعلل رؤية الوالد بهذا المنظر البهي علماً بأن ما هو مخزون في هذا العقل الباطن هي

صورة شيخ في السبعين حطمه المرض وأفنت جسمه العمليات فأضحى هيكلا عظيما لا يفرقه عن المومياة إلا ما يتردد بين جنباته من أنفاس .

أسمع بعضهم يهمس قائلا إن حالة الصحة التي رأيت فيها والدك هي نتيجة النظريات الجديدة التي قرأتها عن ذلك العالم غير المنظور ، وأن فيه تنعدم الأمراض .

ليكن ما تقولون يا سادة يا كرام وليكن هذا العقل الباطن الذي تلبسونه لباس صانع المعجزات فتلجأون إليه كلما حرتم في تعليل سر من الأسرار كما يلجأ أمثالكم من رجال الدين إلى الإيمان الأعمى المجرد ، هو الذي حاك هذا الحلم فما تعليلكم لشعوري بانتقال الوالد رغم بعد المسافة بيننا ، وكيف تفسرون ذلك الهاتف الخارج عني وقد طالبي بالصلاة لانتقال الوالد وإن كان هناك تفسير ، وما أفسح الخيال لنظرياتكم الخيالية وفلسفتكم الكلامية فكيف تمللون حادث جلسة المنضدة .

هل قفز ذلك العقل الباطن دون وعي منا وأحدث تلك الخلطة فوق المكتب البعيد عنا حبا في مداعتنا وما أسمعها من مداعبة مزعجة إذ ما كنا نتوقع طرقا بهذا العنف ؟ ألا ما أغربه من عقل هو وليد الجهل بحقائق الأمور وابن الخيال الباطل أوجده قصر النظر الذي لا يريد أن يتعدى عالم المادة .

لقد كنت أشد الناس تمسكا بهذا العقل الموهوم وليصدقني جماعة السيكلولوجيين قولاً أنه لو كانت قد أعطيت لي رسالة ما ولو فاقت في بلاغتها وصدقها كل ما يتصوره العقل لكنت أول من يتمسح بهذا العقل وكأني بتلك القوة العاقلة غير المنظورة وقد أرادت أن تقطع على طريق الرجوع إلى هذا العقل المزعوم فأحدثت ظاهرة مادية لا دخل فيها بعقل باطن أو وعي من جانبنا .

فالعقل الباطن يا سادة هو ما يسميه علم الروح الحديث بالنفس ويذهب البعض إلى تسميته بالجسم الكوكبي أو الجسم الأثيري وسواء سميناه بهذا الاسم أو ذاك فلا يغير من جوهر الشيء فهذا الجسم مماثل كل المائلة للجسم المادي حتى في أدق خلاياه وإن كان من مادة أرق والطف من زميله الفيزيقي .

لجماعة الروحانيين أحق في دعواهم واسنادهم إلى الروح (النفس والعقل) ما كان قبلا يسند لهذا العقل الباطن الذي لا وجود له ، وبدعواهم هذه يقربون العلم والدين بينما أنتم بنظرتكم المادية وباحتياكم وراء هذا العقل تملصا من كل ما يمت إلى الدين بصلة ، تضربون أقوى الأمثلة على مناقضة علمكم بنفسكم فالسيكلولوجيا تعني علم النفس بينما أنتم تحاولون

إنكار هذه النفس وتقييدون بدراسة ميكانيكا العقل وعمله ويحق لكم أن تطلقوا على علمكم كما يقول الدكتور ولز ، كلمة منتولوجيا "Mentology" أى علم العقل وليس Psycholog علم النفس .

وجاعة الروحانيين إذا ما طالبوكم بتصوير هذا العقل الباطن أو تحديد مكانه فى الإنسان أسقط فى يديكم محاولين التخلص بافتراضات لا صحة لها .

فالأجدر بكم أمام ما ألقاه علم الروح الحديث من ضوء أن تتركوا العقل الباطن لحاله تمثلا بأئمة علمكم كمجدوجل ويونج وفرويد نفسه الذين أنكروا وجوده إنكارا تاما .

وإني أناشدكم باسم الإنسانية يدعاة العقل الباطن أن تودعوا هذا العقل وتخلصوا عما لا وجود له وأن تهبطوا من سماء الخيال والنظريات إلى عالم الحقيقة فبدل التأملات النظرية والافتراضات الظنية أمامكم علم الروح الحديث يقدم لكم أبحاثا عملية مجدية لكم وللإنسانية .

الفصل الثانی

« طوبى للحرزاني لأمرهم بمنزور »

في صباح اليوم التالي قنا بما يلزم لنقل الجثة إلى « عزبة بهنس » ، « بني حدير » حيث كان يعمل والذي قبل أن يحل أخى نجيب مكانه ، وهناك على الضفة الأخرى من النيل كنيسة أثرية للقديس الأنبا انطونيوس حيث طلب والذي دفن جثمانه في جبل مجاور . عند وصول العائلة هناك أقبل فلاحو العزبة للتعزية ، وبينما أنا جالس في الطابق الأرضي أتناول والقوم الحديث عن الموت وكنهه سمعت فجأة صراخا وعويلًا وصوت إحدى الفلاحات تندب وتعدد المناقب .

تركت من كنت معهم وقفزت بشكل جنوني على السلم إلى حيث وقع نظري على تلك المرأة وكدت أجم عليها لأخذ أنفاسها ، ولكنني ضببت نفسي ما أمكن واكتفيت بتهديدها بالطرد من البيت إذا هي عادت إلى عمل كهذا .

وبعدها التفت إلى زوجة أخى ناشد وهي فوق كونها متعلقة تمثل المسيحيات التقيات المتمسكات بعقائد الكنيسة وفرائضها وقلت لها :

« حتى أنت يا مَن كنت أنتظر منها القيام بتهدئة الخواطر تشاركينهن البكاء ، بل وتسمحين لامرأة كهذه بأن تهوى بكن إلى هذا الدرك من الكفر والإلحاد ! أين مسيحيتك التي كثيرا ما تتباهين بها ؟ أين الكنيسة وما تفتخرين به من تعاليمها ؟ هنا المحك لتدينك وما تتمسكين به من عقائد دينية وتعاليم كنسية ، ولكن للأسف لقد فشلت مسيحيتك وباءت بالخيبة تعاليم كنيستك أمام هبوب العاصفة . ما فائدة تدينك إذا كان هذا التدين لا يمدك بالقوة في حينها ، وما فائدة تعاليم الكنيسة إذا كانت لا تعينك على الوقوف أمام صدمات الحياة وما أكثرها وبخاصة أمام صدمة الموت وهي أكبرها وأعظمها ! إن جميع الأديان قديعها وحديثها تبشر بالحياة بعد الموت ، ولكن العيب ليس في الأديان بل فيمن خصصوا أنفسهم لخدمة هذه الأديان ، وما يلقنونه لأمثالك من تعاليم غامضة عن تلك الحياة وليس لديهم من برهان إلا الإيمان ، وما أعجزه من برهان ، بل هو برهان المعجزة فهم مثلك لا يستطيعون أن يقدموا للعالم ما يبرهن على الحياة بعد الموت سوى عقيدة الإيمان

الأعمى فهم فقراء من هذه الناحية ، وهل يعطى الفقير الجائع خبزه إلى الجائع الفقير ، وهل يصف عليل دواء لعليل آخر وهو أخرى بالدواء ؟

وهكذا استطعت إطفاء جذوة نار كادت تشتعل تحت تأثير امرأة مستعبدة لعادات وثنية قديمة ما زالت وللأسف الشديد توجد بين بعض الطبقات من شعبنا المصرى .

فى المساء وصلت الجثة ، وما أن شعر أخوتى بالسيارة تقرب حتى بدأوا فى البكاء من جديد فبدأت من جديد بإزالة الاعتقاد الراسخ فى أذهانهم بأن والدم هو هذا الجسد الهامد والجثة التى شوهدا الطب والأطباء ، وأخذت فى تفهيمهم كيف إن علاقة هذا الجسم بالدم كملاقة الملابس بلباسها نخلع الملابس لا يغير من شخصية صاحبها ، كما أن نخلع الكساء المادى عند حالة التغير التى ندعوها موتاً لا تمس الشخصية التى تحتفظ بها إلى ما بعد القبر ، وكل ما هنالك أننا نترك هذا الجسد المادى ، وقد أصبح عديم الفائدة ليمتثل راجعاً إلى أمه الأرض التى منها أخذ ، ونرجع نحن إلى موطننا الأصيل ومسكننا الأبدى الذى منه أتينا وإليه نعود بعد سفرة قصيرة فى عالم المادة . وكما أننا لانهتم بالملابس البالية بعد تركها ولا يهتمنا سواء منقرت أو أحرقت كذلك الحال مع هذا الجسد بعد تركه لا يضرنا سواء منقر أو أحرق ، إذ أنه أصبح عديم الفائدة وحتى إذا لم تعتره أحد هذه العوامل فسوف لا ترحم الطبيعة من تحليله وإرجاعه إلى عناصره الأولية ليدخل فى بناء أجساد جديدة . هذه الكلمات وغيرها استطعت إفهامهم تفاهة الجسد المادى .

فى صباح اليوم التالى تماون الفلاحون على حمل النعش إلى حيث ووريت الجثة التراب بعد أن قام رجال الدين بأداء واجبات الصلاة المعتاد إجراؤها فى مثل هذه المناسبات .

وحدث أثناء إزال النعش داخل القبر المنحوت فى قلب الصخر ، أن قام أخى نجيب بمعاونة الفلاحين على إزاله . بعدها خرجوا جميعاً ما عداه . تخلف وأخذ يلتصق بالكفن وهو يبكى وينتحب بصوت مرتفع سمعه كل من كان خارج القبر ، وهنا التفت إلى ابن عمى وطلب منى دعوته إلى الخارج فأخبرت فوق مدخل القبر وصحت به قائلاً :

« إذا كان لوالدك هذا المقدار من الحب بقلبك ظناً منك أنه هذه الجثة التى بعد قليل ترجع للتراب وهو منه أخذت فأحرى بك أن تبقى بجوارها ولا تتركها » .

وهنا كفكف دمه وخارجاً فوقفت بين الجمع المحتشد وكان خليطاً من المسلمين والمسيحيين ووسط سكون الطبيعة ووحشة المقابر وقات :

فى قديم الزمان سأل أيوب الصديق سؤالاً تردد صداه على مر الأجيال وجاشت به الصدور منذ بدأ الإنسان يفكر « إن مات رجل أفيحيا ؟ » .

تنص جميع الأديان على خلود الروح منفصلاً عن الجسد فديانة قدماء المصريين تدور حول بقاء الروح ومعيشتها في عالم آخر وبحث كهنتها في الروحيات وما وراء القبر وآمنوا بوجود الروح وخلودها فكانوا يطلقون عليها اسم « كا » أو القرين « وكتاب الموتى » الذى خلفوه ليمد أثراً ناطقاً بقوة إيمانهم بالخلود وسمو آدابهم ثم جاءت الديانة اليهودية فقالت ببقاء الروح وعذابها أو نعيمها في العالم الآخر وإمكانية الاتصال بأرواح من سبقونا إلى عالم البقاء ففي سفر صموئيل الأول نقرأ عن الملك شاول وكيف تنكر ، وذهب مع رجلين إلى وسيطة استحضرت له روح صموئيل فلما رآته المرأة صرخت وقالت لشاول « لماذا خدعتنى وأنت شاول » فقال لها لا تخافى فماذا رأيت . فقالت رأيت إلها يصعد من الأرض فقال لها وما صورته قالت شيخ صاعد مغطى بحبة فعلم شاول أنه صموئيل وخر على وجهه ساجداً فقال صموئيل لشاول لماذا اقلقتنى بإصمادك إباى فقال قد ضاق بى الأمر جداً ، الفلسطينيون يحاربونى والرب فارقتى ولم يعد يحببى لا بالأنبياء ولا بالأحلام فدعوتك لكى تعلمنى ماذا أصنع —

فقال صموئيل ولماذا تسألنى والرب قد فارقتك وصار عدوك « غدا أنت وبنوك تكونون مى » :

وفي الإصحاح الحادى والثلاثين نقرأ كيف تحققت هذه النبوة إذ مات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله فى ذلك اليوم .

ففى هذا الحادث نرى كيف اتصل الملك شاول بروح صموئيل عن طريق امرأة « عين دور » وقد كشف عن بصرها وسمعها وكانت دون غيرها لها هبة رؤية غير المنظور وسماع غير المسموع فن وصفها عرف الملك شخصية صموئيل وبسماعها كلام الروح عرفت أن زائرها هو الملك شاول ورغم ذلك نراها أمينة لوساطتها فبلغت الملك ما سمعته من الروح حرفاً بحرف رغم ما فى الرسالة من تهديد بالموت ولين ؟ الملك له السلطة على قتلها أو إبقائها .

« غداً أنت وبنوك تكونون مى » أين كان صموئيل ؟ فى عالم غير منظور يحيط بهذا العالم الذى فيه نعش وعن طريق أناس يسمون بالوسطاء وهم هم بينهم من كانوا يطلق عليهم قديماً الأنبياء أقول عن طريق هؤلاء الوسطاء وما حبثهم به الطبيعة من خاصيات يمتازون بها عن غيرهم نستطيع ونحن فى عالم المادة أن نتصل بأحبابنا ممن سبقونا إلى عالم الأرواح فصموئيل النبى لم يكن مدفوناً فى القبر لاحتراك به وكما تعتقد الأغلبية الساحقة من الجهلة وبلهاء المتدينين بل كان حياً فى عالم أرق وأرقى من عالمنا وفى تمييزه زمن موت شاول

بالقول « غدا أنت وبنوك تكونون معي » ترى أنه ليس هناك رقود في القبور على رجاء القيامة كما يبشر البعض بل أن الموت هو باب الحياة حقة ، وعقب ترك الجسد المادى نقوم فى عالم أبهى وأزهى .

وفى هذا عظة لأمثال أخى نجيب وما أناه من بكاء بجوار جثة والده ، فهو بعمله هذا يعطينا مثلاً حياً لاعتقاد الأغلبية ذلك الاعتقاد المبني على الجهل ، وهو أننا لا نزيد عن كوننا أجساداً مادية ، وعلى هذا نبقى راقدين فى بطن الأرض حتى يوم مجهول سموه بيوم القيامة ، ونسكنى لا ألوامه ولا نعتبروه تحدياً منى إذا قلت إن الغلظة هى غلظة رجال الدين لأنه بأمثال هذه التعاليم المضللة يسممون عقول الشعب ويقومون بحجر عثرة أمام الناس .

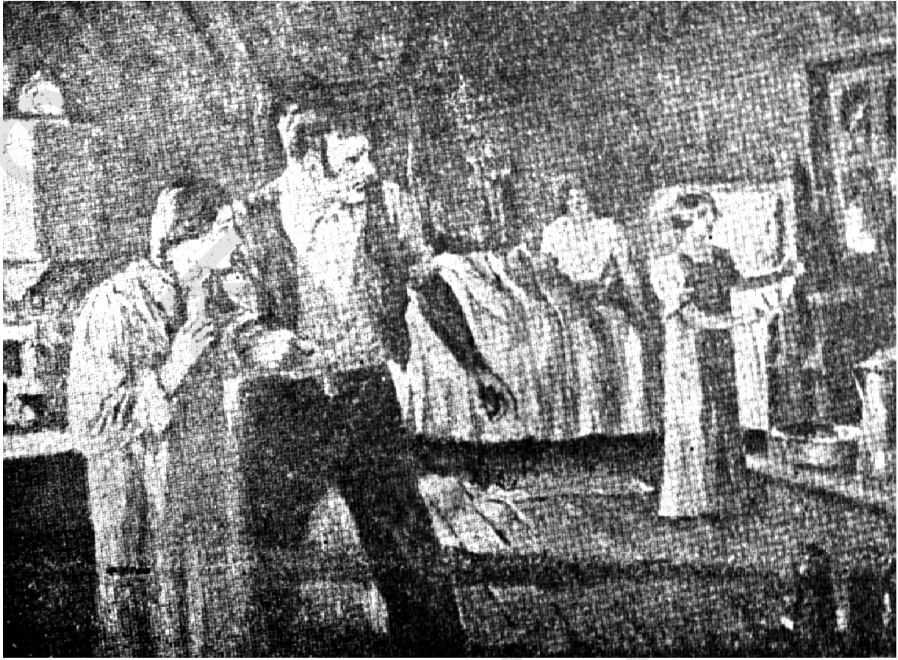
هذا ما جاءت به الديانة اليهودية وقد أعقبها المسيحية التى جاءت تحت على الإيمان بخلود الروح وبجهال العالم الروحانى وبإنكار الجسد ، وبأن محبة العالم عداوة لله لأن بمد هذه الحياة الأرضية حياة روحانية يعيش فيها البشر كأبناء الله . ثم جاءت الديانة الإسلامية مبشرة أيضاً بخلود الروح وبالعقاب أو الثواب الذى ستنالاه الروح فى العالم الآخر . وجاء فى القرآن الكريم « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . أى لا تظنن الذين قتلوا وهم يجاهدون فى سبيل الحق أمواتاً تلاشوا بتلاشى أجسادهم ، بل هم أحياء قريبون من ربهم فى جنته يرزقون فرحين بما منحهم الله من فضله وإحسانه ، ويستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة ، وحالة من تركوهم خلفهم فى الحياة الدنيا ، إنهم إذا ماتوا أو قتلوا كانوا أحياء لا يكدرهم خوف وقوع بلية ولا حزن فوات محبوب .

هذا ما جاءت به الأديان ، واليوم بتحريك العالم بأثره نحو ذلك الإيمان القديم كقدم العالم فماد منذ عهد غير بعيد مذهب الخلود الروحى المبني لا على مجرد الإيمان بل على القواعد العلمية الثابتة التى تشبع عقلية العصر الحديث .

وقد أتى هذا الاكتشاف الحديث لذلك العالم غير المنظور عن طريق حادث بسيط قاد إلى كشف عظيم ، وألم يكن فى سقوط تفاحة ما أدى إلى اكتشاف قانون الجاذبية الذى غير مجرى العلم ، وألم تؤدى غلاية استغفنسن إلى اختراع القاطرة !

فقد حدث يوم ٢٥ مارس سنة ١٨٤٨ أنه كان رجل يدعى (فيكان) يسكن قرية (هيدسفيل) من مقاطعة نيويورك بأمرىكا فسمع ذات ليلة طرقات متعددة على أرض بيته .

حاول اكتشاف الفاعل فلم يهتد ، وذات ليلة قام منذعراً على صراخ ابنته الصغيرة . سألها عما ألم بها فزعمت أنها أحست بيد مرت على جبينها وهي في سريرها . أخيراً هجر المنزل وخلفه فيه رجل متنور يدعى جون فوكس فحصل لأهله ما حصل لسلفهم من الأصوات التي لا تجعل للنوم مساعاً إلى الجفون فبكات مدام فوكس تنادى جيرانها المستمعين بهم في البحث عن الفاعل فأعيتهم الحيل . أخيراً تجمست ذات ليلة وكان ذلك في ٣١ من نفس الشهر



منزل عائلة فوكس بهيدسفيل وهو مهد الروحية الحديثة

وهو تاريخ مولد الروحية الحديثة وقالت للطارق . أحدث عشر طرقات ففعل . سألته عمر ابنتها كآربنه فطرق طرقات على قدر عدد سني عمرها ، وأخيراً قالت له : إن كنت روحاً فأحدث طرقتين أيضاً ، فأحدثهما وبهذه الطريقة استطاعت بواسطة الطرق أن تعرف أنه روح رجل كان يسكن البيت من زمن وقتله جاره ليسرق ماله ، ودفنه فيه .

دعت مدام فوكس جيرانها ، وبعد أن قصت الحادث عادت وكررت الأسئلة على مسمع من الجميع فجاءت الأجوبة بما أدهشهم لانطباقها على ما سبق . أخبروا الحكومة بالحادث وهي قد اتخذت إجراءاتها القانونية حتى قبضت على الجاني واعترف بجريمته .

شاع أمر هذا الحادث في كل أصقاع أمريكا وكثر ظهور مثله في كل جهة بل قل إن العميون تفتحت لما كان يحدث في كل حين دون أن يعار أي اهتمام .

أخذت الروحية من ذلك الحين في الانتشار كانتشار النار في الهشيم حتى وصلت إلى

ما هي عليه الآن ولها ملايين من المعضدين بعد أن طعنت مذهب الماديين طعنة لا يبرء منها .
وهكذا بعد أجيال عديدة توصل البشر إلى الإجابة على سؤال أيوب الصديق ونستطيع
أن نقول لا بالإيمان بل بالبرهان الملموس والبيئة العلمية المقنعة أن الإنسان بعد موت الجسد
يحيا في عالم آخر غير عالمنا المادي « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ، وإن الدار الآخرة
لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » .

فحياتنا الحاضرة في تقلباتها وعدم ثباتها ودوامها تجعلنا كسجين مكبل بالأغلال
والسلاسل غاطس في أحلامه .

وأما تلك الحياة فحياة يقظة تامة وانطلاق ومعرفة ، فذلك ورد في الحديث « الناس
نيام فإذا ماتوا انتبهوا » .

وهكذا نرى أن الله لما خلق هذا الوجود شاء أن لا يقصر بقاء الإنسان على هذه
الحياة المنظورة التي قدر لها الزوال والفناء ، بل رسم له عدة وجوه أخرى للحياة ، ومنحه
حرية اختيار المصير الذي يرتضيه .

إذن فليتهلل البشر ولتهتف البشرية فرحا لأن بشارة الروحانية قد أبطلت الموت وأنارت
لنا الحياة والخلود ، وطوبى للحزاني لأنهم يتعززون .

الفصل الثالث

واجب الكفاح ضد النفاق

في اليوم الثالث جاء قسيس الكنيسة الذي سبق وقام بالصلاة ، ليقوم بإجراء صلوات خاصة لصرف الروح جريا على طقوس كنيسته ، التي توارثتها عن ديانة قدماء المصريين . فكان الكهنة أيام الفراعنة يرفعون الصلوات ويتمتمون كلمات خاصة على زعم أنها تساعد الساهو Sāhū (الجسم الأثيري) على الانفصال من زميله الخات (Khat) (الجسم المادي) .

وهكذا نجد هذه الطقوس مازالت تمارس بكنائس اليوم وإن كان بعض المفسرين قد ذهبوا إلى أن المقصود بصرف الروح هو صرف روح الحزن لا روح الميت ، وهي على كل فكرة شر بكثير من الأولى بل هي محاولة قلب الحقيقة وإخراجها من دائرة الروح إلى دائرة الرمز الميت .

فالفكرة الأولى ، أي صرف روح الميت ، هي أقرب للحقيقة وإن كانت الروح ليست في حاجة لمن يصرفها ، وليس لأحد من سلطان عليها سوى سلطان المحبة الذي هو أقوى من الموت فيجعلها ملازمة لأحبائها حائمة حول أهلها وذويها .

بعد ذلك حل موعد أول عيد عقب انتقال والذي فجأني أخى نجيب يطلب إلى المساهمة في تجهيز « الطلمة » حسب العوائد المتبعة قائلا أنه في مثل هذه المواسم يقدم شيء للكنيسة ليقوم رجال الدين بعمل قداس صلاة لأجل الوالد ترحما عليه ، وإطعام الفقراء الذين يحضرون المقابر في مثل هذه المناسبات .

فقلت له « من جهة إطعام الفقراء فأنا على تمام الاستعداد لأعطي ما تطلب ولكن مليا واحدا لا أدفعه لهيئة تعمل على إحياء عادات وطقوس ، ليس وراءها إلا طمس كل ما هو روحي حتى أصبح الناس يعبدون الرمز تاركين الجوهر ، ثم من الجهة الأخرى كن على يقين أنه لا ينفع المنتقل إلا ما قدمته يده من عمل صالح على الأرض .

فتعازيم السكاهن لا تكفر عن ذنوبك إن كنت خاطئا ، ولا تسرع بك إلى الجنة إن

كنت باراً . لأن إرادة البشر لا تغير مشيئة الله ، كما أن المنجمين لا يحولون مسير النجوم
فكل نفس بما كسبت رهينة » .

ولكن لقد تعود الناس من قديم الزمان على القيام بمثل هذه الواجبات من زيارة
المقابر والترحم على الموتى !

دعك يا أخي من الناس فقيامهم بما تسميه واجبات لا يعنى ضرورتها ، بل إن تأديتهم
لها جرى على عادة توارثوها هي وليدة الجهل بما وراء القبر ، ولو عرفوا الحقيقة لوقفوا على
تفاهة ما تعودوا عمله .

ولعل أنسب نصيحة أستطيع تقديمها لك هي أن تسير في الحياة بأقدامك لا بأقدام
غيرك كن مستقلاً في كل شيء ، وتحرر من كل عقيدة فاسدة فخير لك أن تعيش طوال حياتك
جاحداً منكراً لا تؤمن بالله ولا تعتقد شيئاً من أن تكون منافقاً تنفّس بأنفاس غيرك أو
تعيش بعقيدة زائفة صارت اليك باللقاح أو التقليد الأعمى .

كلمتك كثيراً عن الموت وما هيئته شارحاً لك ما استطعت أن والدك ليس هو الجثة
التي بكيتها بالقبر والتي كانت له كآلة استطاع بها أن يظهر نفسه في عالمنا ولمالم تعد تفيد
شيئاً تركها ليقوم في عالم غير منظور يرانا ولا نراه ويسمعنا ولا نسمعه ورغم معرفتك كل
هذا تأتي لتطالبني بزيارة المقابر وكأنك بك ما برحت تعتقد بأن والدك ما زال هناك .

ففيما تعرضه على من المساهمة في القيام بما جرى على اتباعه البشر منذ فجر التاريخ ترى
ما للجهل بحقيقة الموت من سلطان على النفوس وما لهذه النفوس من غريزة اعتقادية في
بقاء الحياة بعد الموت دفعت بأصحابها على الترحم على موتاهم .

ولكننا أصبحنا في عصر أثبت فيه العلم على بقاء الشخصية بعد موت الجسد وقدم لنا
البراهين الدامغة على ذلك وفتح لنا باب البحث وأثار لنا الطريق فأصبح في متناولنا أن
نبرهن على صدق هذه الحقيقة في منازلنا .

أمام هذا يحق لنا أن نشق عصا الطاعة على كل تقليد حيك حول الموت نتيجة الجهل
به في الماضي متبعين قول لوثر .

« إن السجين المظلوم الذي يستطيع أن يهدم جدران سجنه ولا يفعل يكون جباناً .
إن من يخذل نار نفسه بيده يكون كافراً بالسماء التي أوقدتها ومن يصبر على الضيم ولا يتمرد
على الظلم يكون حليف الباطل على الحق وشريك السفاحين بقتل الأبرياء » .

نحن في عصر تكافح فيه الأفراد لتنجو من أعباء التعصب الديني والجنسي والتمسك بالكثير من العقائد التي وضعها بعض الأقدمين مسوقين إليها بالأنانية والجشع أو لظروف لم يعد لها وجود في الوقت الحاضر .

ونحن إذا اندفعنا نسير بقوة في سبيل الرقي والتحرر ، فإن يفوتنا أن نطلع الجهلاء ودعاة المتيق على مزايا خطتنا وأن ندعوهم إلى السير معنا فن آمن فقد نفع نفسه وغيره ومن أصر فله الإهمال حتى ينقرض هو وأمثاله .

قبل اختتام هذا الفصل ألفت نظر القاري إلى ما للترحم على الموتى من برهان على الخلود إذ أن الوجدان الداخلي في جميع الشعوب عامة والوجدان الطبيعي في البشر بوجه عام يقر به فأهram الأمس تشهد بأن وجدان البشر يحدتهم بالخلود ومناجاة الأرواح اليوم ينطق بحقيقة الخلود وبأن الموت ليس آخر كل شيء وأن النفس لا تزال حية ، شاعرة ، نشطة ، بعد أغلال الجسد بأكثر مما كانت وهي مغولة بأغلاله .

والتاريخ يحدتنا عن كثيرين شعروا بهذه الحقيقة في حياتهم وتأكدها على فراش الموت قبيل انتقالهم .

وعلى سبيل المثال نذكر ما نقل عن حجة الإسلام أبي حامد الغزالي « المتوفى » سنة ٥٠٥ هجرية وكيف أنه قال لبعض أصحابه أنتنى بثوب جديد فإني أريد أن أدخل على الملك فإني له بثوب فأخذه منه وطلع إلى بيته فأبطأ ولم ينزل فدخل إليه صاحبه ومعه ثلاثة أشخاص فوجدوه قد قبض وعند رأسه هذه الأبيات :

قل لأخوان رأوني ميتاً	فبكوني ورثوا لي حزناً
أتظنون بأنى ميتكم	ليس ذاك الميت والله أنا !!
أنا في الصور وهذا جسدى	كان بيتى وقيصى زمناً
أنا كثر وحجابى طلسم	من تراب كان ضيقاً وعناً
أنا در قد حواه صدف	لامتحانى فنفيت الحنا
أنا عصفور وهذا قفصى	طرت عنه وبقي صرتهنا
أحمد الله الذى خلصنى	وبنى لى فى المعالى مسكناً
كنت قبل اليوم ميتاً بينكم	فحييت وخلعت الكفناً
فاهدموا بيتى ورضوا قفصى	وذروا الطلسم يملوه الفنا

قد ترحلت وخلفتكم لا تظنوا الموت موتاً إنه
حي ذى الدار تؤوم مغرق لا ترعكم هجمة الموت فما
وخذوا فى الزاد جهداً لا تنوا ما أرى نفسى إلا أنتم
عنصر الأنفس منا واحد لست أرضى داركم لى وطننا
لحياة وهو غايات المنا !! فإذا مات أطار الوثنا
هو إلا ثقلة من ها هنا ليس بالعاقل منا من ونا
واعتقادى أنكم أنتم أنا !! وكذا الجسم جميعاً عمنا

الفصل الرابع

وجوب استنارة الأرواح

بعد الانتهاء من واجبات دفن الجثة رجعت إلى مقر عملي بالفيوم حيث قمت بإلقاء بعض المحاضرات بجمعية أصدقاء الكتاب المقدس بعدها صممت على إيقاف الكلام النظري حتى الوصول إلى نتيجة عملية .

ولكن عند نزولي إلى ميدان العمل الجدد اعترضتني مصاعب وكان أكبرها العثور على وسيط وهو بيت القصيد في البحث الروحي .

قرأت إعلانا بإحدى الجرائد السيارة عن ترجمة « على حافة العالم الأثيري » الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير وللحال اتصلت به عليه يرشدني عن كيفية العثور على الوسيط المنشود فوصلني الرد يشكو نفس المعضلة (خطاب ١٦ / ٩ / ١٩٣٨) .

بعدها وصلني منه خطاب آخر في ١٦ / ١ / ١٩٣٩ يفيدني بأنه عثر على وسيط وفي الخطاب يدعوني لحضور جلسة فانهزت أول فرصة لتلبية الدعوة وتوجهت بصحبة ابن عمي إل منزله بالروضة حيث استقبلنا ببشاشته المهدودة وقادنا إلى غرفة صغيرة بالطابق الأرضي مدهونة جدرانها بالطلاء الأحمر .

بعد أن حضر جميع الدعويين من بينهم شخصيات لها مكانتها من الوجهة العلمية والثقافية أعلن بدأ الجلسة فجلسنا في دائرة كل يمسك يد جاره وبالسؤال عن الوسيط أشاروا إلى شاب طويل القامة جلس في صدر الغرفة يدعى يس .

قام المسلمون بتلاوة الفاتحة والمسيحيون بالصلاة الربانية اطفئت بعدها الأنوار وأصبحنا في ظلام دامس وقام الأستاذ بإدارة بعض أسطوانات موسيقية .

بعد ذلك بقليل سمعنا شبه تنفس عميق صادرا من ناحية الوسيط أعقبه شهقات متقطعة ثم صمت تام قطعه صوت من يقول « السلام عليكم » وبصوت واحد رددنا جميعاً التحية .

بعدها أضيء نور أحمر خافت مكنتنا من رؤية ماحل بالوسيط أيدي منفردة الأصابع وقد ارتفعت إلى أعلا في حالة تيبس ، جسم متصلب كقطعة من الخشب ، أعين مغمضة ووجه متقلص

المضلات رفعه اثنان واحد من الرأس والآخر من القدمين ووضعاه على فراش بالأرض وقد التف بعض الحاضرين حول الجسم الممدود كل يحاول الوقوف بنفسه على هذه الحالة القريبة فيينا الواحد يحاول رفع حاجب العين المغلقة إذ بآخر يجس النبض وآخر يحاول ادخال دبوس بجلده الوسيط الذى تمدد فى حالة تخشب تام .

بعدها وفى وسط ما أثارته هذه الحالة من لغط وضجة بين المجتمعين تكلم هذا التأم طالباً النظام والهدوء وفتح باب المناقشة وسرعان ما انتهت الأسئلة ورغم تنوعها كانت الأجوبة تأتي بما يلائم كل منها وعافيه الإقناع للسائل وبشكل لم يدع مجالاً للشك بأنه لابد من وجود عقلية وراء هذا الوسيط كما يقول جماعة الروحيين .

حان موعد انصراف الروح فحيانا مودعا وعندئذ بدأ ذلك الجسم المتخشب فى الاسترخاء تدريجياً وأخذ التصلب يتلاشى رويداً رويداً حتى عاد الوسيط إلى حالته الطبيعية واسترجع وعيه وجلس بفرك عينيه .

ولكن ما حدث بعد ذلك زاد من دهشتنا جميعاً إذ ما كاد الوسيط ينتهى من فرك عينيه حتى بدأ يصيح صيحات الفرع محاولاً الاختباء بين الحاضرين وبالسؤال قيل لنا أن للوسيط هبة أخرى خلاف هبة الغيبة تسمى بالجللاء البصرى أو القدرة على رؤية غير المنظور وهى خاصية يمتاز بها الوسيط الروحاني عن غيره من البشر ولهذا اختير من عالم الروح ليكون وسيطاً بين العالمين .

فبعد كل جلسة يحاول الروح بقامته الطويلة وطلعته المهيبة الظهور له ولكن لجهله يخاف منه ومزاراً حاولوا تفهيمه بأن جماعة الأرواح بشر مثلنا لا ينبغي لنا أن نهائم بل أن نرحب بهم ولكن بدون جدوى وعقلية جاهل أى مثله تسمى الأرواح بالأسبياد كما هو المشاع بين العامة لا تستطيع قبول تعليقات كهذه .

وهنا سألتنا بدافع حب الاستطلاع عن شخصية الروح المهيمن فقول لنا أنه يدعى « هوايت هوك White Hawk » يظهر فى أوساط أوربا ودواثرها الروحية وللتثبت أحضروا له عدد ٣٠٩ من مجلة الأخبار الروحية « Psychic News » وهى مجلة روحية تصدر أسبوعياً بلندن وللحال أشار إلى أحد خمسة أرواح موجودة صورهم بصدر المجلة وقد أخذت هذه الصور بواسطة جهاز خاص لتصوير الأرواح .

شكرت الأستاذ من أعماق قلبي إذ تعطف على بما اتى نوراً على الجانب العملى لموضوع أصبح لى الشغل الشاغل وودعته داعياً له بالتوفيق فى تبليغ رسالة الروحية لبلادنا التى وإن

كانت قديماً منبعاً للديانة من أقدم أديان العالم تعمق كهنتها في دراسة الروحيات إلا أننا وللأسف أصبحنا في عصر ينظر فيه لكل من يبحث في هذا الباب كشمعوز دجال وأنا لا ألومهم في ذلك لأن بلادنا كغيرها من بلاد الأرض ملأى بالمشعوذين والدجالين الذين أساءوا إلى الروحية التي قصد بها أنارة الأذهان للعالم الثاني لا ابتزاز الأموال وأنى اتطلع بشوق إلى ذلك اليوم السعيد الذي فيه تتألف هيئة من علمائنا بمصر لدراسة الظواهر الروحية وتؤسس معاهد علمية للبحث الروحي على غرار أمثالها بالأقطار الأوربية وعندئذ تتخلص الروحية من أدران المدلسين وتظهر أفكار العامة مما هو لاصق بها إذ أن قاموس الروحية عندهم لا يحوى إلا الجن والعفاريت والأسبياد ومن يقومون بتحضيرهم من المشايخ . خرجت أنا وابن عمي وسرنا مبهمين شطر المنزل وكل يفكر فيما رأى ويتأمل فيما شاهد إلى أن قطع ابن عمي صمتنا قائلاً لم لا يكون هذا إبحاءً ذاتياً لا أكثر ولا أقل وهناك حالات في التنويم المغناطيسى تشبه كل الشبه ما رأينا !

وما رأيك في الإجابة العلمية رغم جهل الوسيط ؟

هذا أمر في استطاعة العقل الباطن أن يقوم به .

وكيف تعمل صراخ الوسيط عند رؤية الروح ؟

صمت قليلاً باحثاً عن حل لهذا الأشكال ثم قال ولم لا تقول أنه تظاهر مدعي رؤية شخصية لا وجود لها ليوم الحاضرين أنه وسيط روحاني كما يقولون بينما لا روح هناك ولا يحزنون .

يلوح لي أنك من المنكرين وجود الروح وحيث أن النفي في كل شيء أيسر من الإثبات وبما أنك من المحافظين على شعائر دينهم أطلب منك رأيك في الإنسان ومآله بعد الموت .

أنا لست من منكرى وجود الروح وخلودها بعد الموت غير أنى لا أقر بإمكانية الاتصال والنخاطب مع الأرواح وأن كان ذلك ممكناً كما يدعى جماعة الروحيين فالكتاب المقدس يحرم مثل هذا الاتصال كما جاء في تث ١٨ : ١٠ ، ١١ إذ يقول :

« لا يُوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جاناً أو تابعة ولا من يستشير الموتى لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب . »

على العموم أن اعترافك بوجود الروح قد سهل علينا نصف الطريق . أما من جهة

ما ذكرت من تحذيرات كتابية فلم يقصد بها أن تطبق على أهل القرن العشرين بدليل أن هناك تحذيرات أخرى في غاية السخف كقتل كل من سب أباه أو أمه وكقول لا تجملوا قرعة في رؤوسكم ولا تخلقوا عوارض لحاكم . فأن مثل هذه التحذيرات من رجال الدين أنفسهم . هذا وبالرجوع إلى ما ذكرت كاعتراض على مناجاة الأرواح نقول إن جماعة الروحانيين لا يجيزون أبناءهم في النار ولا يسألون الجان والتوابع ولا إلى غير ذلك أما إذا اعتبرت أن من يستشير الموتى مكروها عند الرب فيكون الناصري أول من ينطبق عليهم هذا القول فقد استشار الموتى في مسألة صليبه عند ما عقد تلك الجلسة التاريخية فوق الجبل وإذ بموسى بعد ١٤٨٢ عاماً في عالم الروح يتجسد بصحبه إيليا في حضرته بفضل وساطة بطرس ويعقوب ويوحنا وهم أقوى التلاميذ وساطة ولوقا الطبيب ذا العقلية العلمية المدققة ينفرد في وصف ما اعترى هؤلاء التلاميذ أثناء حدوث الظاهرة فيقول في لو ٩ : ٣٢ « وأما بطرس واللذان معه فكانوا قد ثقلوا بالنوم » .

واليوم وعلى ضوء علم الروح الحديث نستطيع تفسير علة هذا النوم إذ هو نتيجة مباشرة لما سحب منهم من المادة الإكتوبلازمية اللازمة لمثل هذه الظواهر العنيفة . هذا ولا يفوتك أن أولها - موسى - هو الذي كتب ما ذكرته كاعتراض على الاتصال بالأرواح .

والمدعى أنه رغم اعتراف اللاهوتيين بهذه الحقيقة ينكرون ما يقوم به جماعة الروحانيين من اتصالات بعالم الروح .

ولكن يسوع الناصري كان إلهاً متجسداً له القدرة على دعوة الأرواح فتأتمر بأمره . إذا كنت تنسب للناصرى الألوهية التى تسببها عليه التجسد روحى موسى وإيليا في حضرته فيكون إبراهيم أعظم منه إذ يذكر الكتاب أن الله بنفسه تجسد في حضرته وهاك النص الكتابى المذكور فى تك ١٨ : ١ - ٨ .

وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد للأرض وقال ياسيد إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم وانكثوا تحت الشجرة فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم يجتازون لأنكم قد صرتم على عبدكم فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى ساره وقال أسرعى بثلاث كيلات دقيقاً سميذاً . اعجنى واصنعي خبز ملة ثم ركض إبراهيم إلى

البقر وأخذ عجلاً رخصاً وحيداً وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله ثم أخذ زبدًا ولبنًا والمجل الذي عمله ووضعها قدامهم وإذا كان هو واقعاً لديهم تحت الشجرة أكلوا .

فإذا كان الرب خالق السكون هو الذى ظهر لابراهيم نصطدم بالآية القائلة « ان الله لم يره أحد قط » ولكن الحقيقة أن من ظهر لابراهيم لم يكن إلا يهوه المرشد الروحي لبني اسرائيل والذى أخرجهم على يدى وسيطه موسى من أرض مصر . وافظة يهوه نقلها موسى عن كهنة طيبة والاسم الأصلي كان "Nuk-Pu-Nuk" "I am The Iam" كما سبق ونقل أشياء أخرى من ديانة المصريين كالختان وتقديس الهيكل ولبس الكهنة الملابس الكتانية وقوس الأقداس وغيرها من الطقوس والعادات الدينية وقول الكتاب بأن موسى تهذب بكل حكمة المصريين يلقى ضوءاً على هذه الحقيقة التاريخية فقد نقل عقائدهم وترك تعالىهم عن خلود الروح ومصيرها فأخذ الرمز وأهل الجوهر .

وبالرجوع إلى قصته أقول إنه لولا حدوث مثل هذه التجسيدات فى عصرنا لما استطعنا أن نفهم أن يهوه هذا لم يكن إلا روحاً من الأرواح التى عاشت يوماً من الأيام على أرضنا وبفضل وساطة ابراهيم استطاع أن يتجسد بصحبة اثنين من رسله ومساعديه ولا ستمر رجال الدين بجهلهم ظواهر التجسيدات على الادعاء بأن من تجسد وظهر لموسى وإبراهيم وغيرها لم يكن إلا الله الخالق .

ولكى أتق ضوءاً على أن يهوه لم يكن إلا زائراً من عالم الروح أذكرك ببشارة هذا الروح لابراهيم وكيف أنه سيكون لساره غلام فى بحر عام من الزمان وهذه عندما سمعت البشارة ضحكت فى باطنها لأنها وزوجها كانا شيخين متقدمين فى الأيام وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء .

فلو كانت سارة تعتقد أن من يتكلم هو الله سبحانه وتعالى لما تجرأت على الضحك ، بل بالعكس لقد كانت جماعة الروحانيين فى عصرنا لا تنسب العصمة لجماعة الأرواح ، إذ ما هم إلا بشر مثلنا لهم أخطاؤهم ولهم نقائصهم ، وكل ما هنالك أنهم يقفون على درجة أعلى من سلم التطور والارتقاء الذى هو غرض الحياة الأسمى ، وهدف البشرية الذى إليه تسعى .

ولكن سارة ضحكت لأنها لم تكن تعرف أنه الرب إذ كانت بالداخل ولم تره .

ولكن ابراهيم أيضاً لم يصدق بدليل ما جاء بالإصحاح السابق ، وكيف أنه لما كان ابن سبع وتسعين سنة ظهر الرب له وقال : أنا الله القدير ؟ ! ؟ ! سر أمانى وكن كاملاً فاجعل عهدي بينى وبينك وأكثر كثيراً جداً ، وتكلم عن سارة فقال « أباركها وأعطيك أيضاً

منها ابنا ثم بعد ذلك نقرأ أن إبراهيم سقط على وجهه وضحك وقال في قلبه « هل يولد لابن مئة سنة وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة » ، وأراد أن يعلن عدم تصديقه جهاراً فقال لمرشده « ليت اسماعيل يعيش أمامك » أى يكفى أن يكون اسماعيل قد خرج من صلبه ، أما كونه يولد له ولد في مثل هذا السن فكان أبعد ما يكون عليه تصديقه . وكان جواب المرشد حسب الكتاب على هذا الشك من جانب إبراهيم .

« بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق » ومن الدهش أن الكتاب يقول إن إبراهيم آمن بالرب فحسبه له برّاً ويدعوه باب المؤمنين مع أنه كذب عندما قال عن سارة امرأته هي أختي خوفاً من المصريين (تك ١٢ : ١٣ ، ٢٠ : ٢) ، وأغرب من ذلك أن رب إبراهيم هذا يدل أن يوبخ وسيطه على كذبه ، يظهر لايمانك في الحلم ، ويهدده بالموت لأنه أخذ امرأة متزوجة بعمل .

فأين إبراهيم من الإيمان بأقوال الأرواح . إنه وزوجته مثال حى لجماعة الروحانيين في عصرنا الذين يتبعون قول يوحنا « أيها الأحياء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح » ايو ٤ : ١ . ولكي أدخل في ذهنك أن من كان يظهر لموسى وإبراهيم وغيرها من الأنبياء وهم هم من نسميهم وسطاء في عصرنا — لم يكن الله ولا حتى ملاك بأجنحة ، بل روحا كانت يوما من الأيام على أرضنا اقرأ قصص ١٣ لترى كيف ظهر روح مبعوث من قبل يهوه لامرأة منوح وبشرها بولادة شمشون رغم أنها كانت عاقرا ، وحذرنا أن لا تشرب خمرأ ولا مسكراً ولا تأكل شيئاً نجساً لأن الصبي يكون نذيراً لله من البطن إلى يوم مماته .

بعدها دخلت المرأة وكلت رجلها قائلة : جاء إلى رجل الله ومنظره كمنظر ملاك الله مرهب جداً ولم أسأله من أين هو ولا أخبرني عن اسمه .

وهنا ترى من قولها رجل الله أنه كان مثل أى رجل عادى بدون أجنحة ومنظره كمنظر ملاك الله يدل على أنها رأت زائراً من عالم الروح ذا مظهر نورانى .

بعد ذلك نراه يظهر لها مرة أخرى فتسرع راكضة لتخبر رجلها ، فقام منوح وسار وراء امرأته وجاء إلى الرجل وقال له : أنت الرجل الذى تكلم مع المرأة ؟ فقال : أنا هو . وكرر البشارة بالمولود .

بعد ذلك قدم منوح محرقة للرب من أجل هذه البشارة ، فكان عند صعود اللهب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد في لهيب المذبح ومنوح وامراته ينظران .

وهناك أيضاً قصة جدعون ومنها ترى كيف أنه عندما عمل بنو إسرائيل الشر في عيني

الرب دفعهم ليد مدبان سبع سنين فذلَّ إسرائيل جدا فصرخ بنو إسرائيل للرب فسمع لهم وأرسل ملاكه أو رسوله إلى جدعون الذي كان يخبط حنطة في المعصرة لكي يهربها من المديانيين وقال له :

« الرب معك يا جيسار البأس » .

جدعون : أسألك يا سيدي إذا كان الرب معنا فلماذا أصابنا كل هذا وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آبؤنا قائلين ألم يصعدنا الرب من مصر والآن قد رفضنا الرب وجعلنا في كف مدبان .

الروح : والكتاب يقول « فالتفت الرب وقال اذهب بقوتك هذه وخلص إسرائيل من كف مدبان . أما أرسلتك » .

جدعون : أسألك يا سيدي لماذا أخلص إسرائيل . ها عشتري هي التي في منسى وأنا الأصغر في بيت أبي .

الروح : والكتاب يقول : « فقال له الرب إني أكون معك وستضرب المديانيين كرجل واحد » .

جدعون : إن كنت قد وجدتُ نعمة في عينيك فاصنع لي علامة أنك أنت تكلمني لا تبرح من ههنا حتى آتي إليك وأخرج تقدمتي وأضعها أمامك .

الروح : إني أبقى حتى ترجع .

فدخل جدعون وعمل جدي معزى وابقه دقيق فطيراً . أما اللحم فوضعه في سل ، وأما المرق فوضعه في قدرٍ وخرج بها إليه تحت البطمة وقدمها فد ملاك الرب طرف العكاز الذي بيده ومس اللحم والفطير فصعدت نار من الصخر وأكلت اللحم والفطير وذهب ملاك الرب عن عينيه .

ولكن جدعون رغم هذه العلامة المقنعة الملعوسة لم يكتف بها كبرهان على صدق الرسالة فطلب أكثر ليتحقق من أن حامل الرسالة له القدرة على تنفيذ وعده بالمساعدة .

ويقول الكتاب « وقال جدعون لله : إن كنت تخلص بيدي إسرائيل كما تكلمت فما إني واضع جزء الصوف في البيدر ، فإن كان ظل على الجزء وحدها وجفاف على الأرض كلها علمتُ إنك تخلص بيدي إسرائيل كما تكلمت ، وكان كما طلب فبكر في الغد وضغط الجزء وعصر طلامن الجزء ملء قصعة ماء .

ورغم ذلك لم يقتنع جدعون وكأن به ينسب هذه الظاهرة للمصادفات إذ يقول الكتاب « فقال جدعون لله لا يحجم غضبك علىّ فأنتكلم هذه المرة فقط امتحن هذه المرة فقط بالجزءة - فليكن جفاف في الجزء وحدها وعلى كل الأرض ليكون ظل ففعل الله كذلك في تلك الليلة فكان جفاف في الجزء وحدها وعلى الأرض كلها ظل » .

ألا ترى معنى يا عزيزي أن قصة كهذه ترينا حادثة روحية رائعة لو بسيط يريد التأكد من قوة مرشده الذي كلفه رسالة هي فوق طاقته ولا يستطيع القيام بها بمفرده ولكن بقوة الروح وبمساعدة سكان العالم غير المنظور يستطيع أن يقوم بما لا يقوى عليه منفرداً ؟ وأليس من الغباء بمكان بل قل إنه التجديف بعينه إذا ما قلنا إن هذا الملاك أو الروح المبعوث من عالم الروح هو الله الخالق ؟ ألا ترى معنى أن قراءة الكتاب المقدس على ضوء علم الروح الحديث يكسبه لونا غير اللون الذي أعطاه إياه رجال اللاهوت بتفاسيرهم المتضاربة الفاسدة ؟ فكلمة « الله » « وملاك الله » « وقال الرب » « وظهر ملاك الرب » وغيرها من مثل هذه الألفاظ لا تعنى خالق الكون عز وجل ، بل إن هذه الألفاظ أسيء ترجمتها وجهل المترجم بحقيقة الروحية واستحالة اتصال العالمين لديه جعلته ينسب هذه المخلوقات الغريبة التي تظهر ثم تختفي إلى تلك القوة المرمدية الغير المدركة أي الله .

لقد قرأت الكتاب مرات قبل اكتحال عيني بنور الروحية ولكنه كان عبارة عن طلاس وألغاز والفضل في تعقيده يرجع كما قلت لتفاسير رجال اللاهوت المقيمة الملتوية نتيجة جهلهم بالظواهر الروحية وإنى أذكر ذلك اليوم الذي بدأت قراءته في نور الروحية وما كنت أشعر به من لذة تفوق كل وصف إذ فتح الكتاب بعد أن كان مغلقا ، بل فتحت عيناى بعد أن كانتا لا تبصران إلا ظلام التفاسير .

وأنا لا أنتظر من شاب مثلك أن يكون قد قرأ الكتاب المقدس شخصياً ولولا أنى كنت أعد نفسي للخدمة الدينية لما فتحت هذا الكتاب ، بل كنت أسير كغيري معتمداً على أناس خصصوا أنفسهم لدراسته وتفسيره بل قل لطلسمته وتعقيده .

على العموم لقد طال بنا الحديث وإن شاء الله عند تقابلنا مرة أخرى لتتابع أبحاثنا في هذه الحقيقة الكونية .

ودعته إذ كنت على موعد البيت مع قريب آخر هو الدكتور أنور رياض الذي حال مقابلي أنهال على الأسئلة فيما رأيت وشاهدت وأنا وإن كنت قد استطعت إقناع ابن عمي

بعض الشيء لزعته الدينية فقد وجدت صعوبة في إقناع هذا الطبيب إذ أنه بحكم مهنته يطلب البرهان العلمى والبيئة الملموسة .

حان موعد النوم فأتوى كل إلى فراشه لأستيقظ في منتصف الليل على صوت نقرات فوق دولاب كان بالغرفة وبعد تنهى شعرت بالغطاء يسحب من فوق . جذبته نحو الرأس لتعود حركة الانسحاب ناحية القدمين ثم جذبته ليعود للمرة الثالثة . خشيت وجود روح ماجنة وتشجيعاً لنفسى بدأت برسم علامة الصليب فى الهواء وقراءة الصلاة الربانية فكانت النتيجة أن شعرت^(١) بوجود شخص طويل القامة واقفاً عند القدمين بعدها رجع كل شيء إلى ما كان فاخفت النقرات ووقفت حركة انسحاب الغطاء واستنتجت أن هذا الروح لا بد وأن يكون هو الروح الذى رآه الوسيط بغرفة الجلوسات ولا سيما لأن الوصف يكاد يكون مطابقاً له وكأن به يريد تشجيعى فى مداومة دفاعى عن الروحية وإقناع الغير بحقيقتها .

(١) من الصعب أن أصف للقارىء ما أقصد بكلمة « شعرت » وكل ما هنالك أنى أستطيع أن أجزم بأن هذا الشئ لم يكن ناتجاً منى بل عن مصدر خارج عني ، بدليل أنه كان مفاجئاً والى لحظة فيها تبينت هيئة الروح الموجودة وكان الإحساس حياً لدرجة لا يمكن تفرقة عن الرؤية بالنظر .

الفصل الخامس

مردوا للمواهب الروحية

ما أن وصلت القيوم حتى بدأ عالم الروح يشعرنى بوجوده بشكل دفعنى إلى عقد الجلسات مع العائلة .

فقد حدث ليلة وصولى أن استيقظت ، فى منتصف الليل أو بعده بقليل ، على صوت نقرات على شباك الغرفة المغلق رغم ارتفاع الشباك بالدور الثانى . تذهبت لأسمع حركة كما لو أن يداً تلمب بيماء « صينية القلل » أعقبها أخرى كما لو أن شخصاً يشرب ماء من نفس القلة ، أوات كلتا الحركتين إلى وجود قطه تلعق بشكل حملنى على هذا التفكير وحاولت طرد فكرة وجود أرواح بالغرفة وإن كان هو تعليل الأشياء بمملاتها الطبيعية . حاولت طرد القطة كالمعتاد ولكن بدون جدوى إذ تكررت الحركة أكثر من ثلاث مرات .

بعدها انتقلت الحركة إلى حيث كنت على سرى فشعرت كما لو أن يداً تسير فوق الغطاء وعلى أطراف الأصابع وقد شعرت شعوراً لا شك فيه بكل إصبع بمفرده . وبما أنى لا أرى شيئاً فى ظلام الغرفة الحالك أوات الحركة إلى وجود فأر ولكنى أقضى عليه انتقاماً لإزعاجى استجمعت كل قواى وضربت الغطاء بقدمى ثم انتظرت اصطدام الفأر بسقف الحجرة ثم رجوعه ميتاً فوقى ولكن لدهشتى لم يحدث شيء ما .

تكررت هذه الحركة أكثر من مرة لأكرر ضرب الغطاء كلما شعرت بها . بعدها عادت الحركة بشكل آخر إذ سمعت صوت انسياب يد بين الوسادتين فذهبت إلى الجانب المضاد لتنتقل الحركة تحت رأسى مباشرة وتكررت الحركة كالحركات السابقة . بدأ يداخلنى الخوف قليلاً فناديت والدتى التى كانت نائمة بسرير مقابل بالغرفة الجانبية ويفصلنا باب مفتوح على مصراعيه .

وفى لمح البصر سمعت حمامة ترفرف تحت السرير ثم تطير مبتعدة وفى نفس الوقت كشف عن نظرى قرأت والدى بصحبة الروح الذى رأيت به بمصر بمنزل الدكتور .

حدث كل هذا قبل أن ترد والدتى على ندائى وقد أدهشتنى بقولها إنها كانت مستيقظة

طوال الوقت وهي شاعرة بكل حركاتي وكانت ترى نوراً يميل إلى الزرقة تحت سريري وكانت صامتة تتأمله وعند مناداتي لها رأت هذا النور يتخذ شكل كرة وبدأت تندرج حتى وصلت إلى سريرها ثم اختفت .

إذا لم أكن مخدوعاً اذ شاركني شخص آخر في رؤية وسماع بعض ما اختبرت .
شكرنا الله على عجائبه وأسراره في كونه وأويت إلى فراشي لأستيقظ في الصباح بشعور روحي سام لازمني طوال النهار .

فكرت جدياً في عقد الجلسات والاتصال بتلك القوات التي تود هي الاتصال بنا ولما كانت ظروف العمل تحول دون عقد الجلسات في بحر الأسبوع قررت عقدها في مساء كل أحد لمناسبته للجميع ولي وبما أن الاختبار دل على أن أنجح الجلسات الروحية ما اقتصر منها على أفراد العائلة الواحدة لتوافر الانسجام بينهم حصرت جلسات التمرين الابتدائية على أفراد العائلة فقط حتى تم لنا التواصل ففتحت الباب للغير .

بدأت جلسات الروحية فكانت مكونة مبدئياً من والدتي (٥٥ عام) وأختي نجيبه (١٨ عاماً) وأختي زهه (١٤ عاماً) وبنتا أخي ناشد اريس (١٦ عاماً) وإريس وتصغرها بعام وأنا وكان لي من العمر وقتئذ ٢٦ عاماً . أما أخي نصحي وعمره ١٦ عاماً فقد قام بمهمة إدارة الفونوغراف .

ولم يكن غريباً عنا الا صديق لي يدعى وديم أفندي ميخائيل كان يتردد على جلسائنا وخصوصاً بعد أن تم لنا الاتصال بعالم الروح غير أنه لم يلبث معنا كثيراً حتى اضطره عمله للرحيل لمصر وحتى لا يفقد غيخته على الروحية التي كان يشتغل بها حماسة في ذلك الحين أرشدته إلى جلسات الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير ليدوم اتصاله بعالم الروح وهناك ظهرت وساطته في الكتابة التلقائية .

وحتى أستطيع التأثير على أفراد العائلة ألبست الروحية لباساً دينياً فكنت قبل البدء في الجلسة أقرأ من الكتاب المقدس ما يعنى للروحانية وهو يعتبر من أكبر الكتب الهامة الحاوية لمختلف الظواهر الروحية والتي يحدث مثيلها في عصرنا داخل غرفة الجلسات فقد كتبه أناس كانت لهم اختبارات روحية فدونهاها دون شرح أو تعليق علماً منهم بأن من سيقرونها من بعدهم روحانيون لهم نفس الاختبارات .

فالكتاب المقدس كغيره من الكتب الروحية لا يفهمه الا جماعة الروحيين فقد كتبه روحانيون ولأجل الروحيين وهم وحدهم يستطيعون فهمه واستساعة ما يعسر فهمه على

غيرهم المدعين احتكار تفسيره وهم أجهل ما يكون به وقاد جهالهم إلى تعقيده رغم بساطته .
وفي هذا نجد لبعض رجال الدين الذين يقولون ويقولون بكل جرأة وتبجح إن إعلان
الله للبشر قد تم في يسوع الناصري وهم وحدهم كأتباع له يملكون مفاتيح المعرفة الروحية
وهم أبعد ما يكون عنها .

بأي حق يقولون هذا وعلى أي أساس يستندون في دعواهم الكاذبة التي كانت سبباً في
إصابة مسيحي العالم بالعمى الروحي وخصوصاً عندما ناصبوا الوسطاء العداء وأذاقوهم العذاب
ألواناً سواء بالقتل أو الحرق متخذين الآية القائلة « لا تدع ساحراً يعيش » سلاحاً لهم في
عملهم الوحشي . ولكنهم أمام نور العلم الذي بدأ يشع في جوانب المعمورة عقب ظهور
فن الطابعة مبدداً ظلام جهالهم ألغوا سلاح العدوان لا اتباعاً لقانون المحبة بل لأنهم اجبروا
على ذلك بعد أن كسر العلم شوكتهم على أيدي من تفتحت أعينهم للنور أمثال لوثر الذي
ثار ثورته ضد سلطة البابوية اللاهائية عاملاً جهده على القضاء على خرافة بيع صكوك
الغفران ، فكانت جرأة منه أن يتمدى على من كان يعتقد في عصمته فاستطاع ومن معه
الانشقاق على الكنيسة الكاثوليكية مكونين مذهب المحتجين أو البروتستانت ، وهو وإن كان
قد نجح في إخراجهم من ضلالة عصمة البابوية والكنيسة إلا أنه أوقعهم في أخرى شر
منها هي عصمة الكتاب .

ليذكرني القارئ إذا كنت قد توسعت بعض التوسع ، إذ ليس فيه خروج عن موضوعنا
وما قصدت بذلك تهجماً على جميع رجال الدين وبينهم في عصرنا العدد الوفير ممن يناصرون
الروحانية وإن كان خفية خوفاً من الانتقاد ولهم اردد قول الناصري « لا يضيئون سراجاً
ويضعونه تحت السكبان بل على المنارة » .

لقد حان لكم الوقت يا مسيحي القرن العشرين وإلى أهيب بكم أن ترجعوا بالروحانية إلى
عهد طهارتها الأول أبان الثلاثمائة عام الأول من حياتها وقبل أن تبلى بشر النظام الكنسي .
وانرجع إلى مواصلة حديثنا عن الجلسات فاقول إنه بعد قراءة أصحاب من الكتاب
كخطابية جهوه المرشد لبني إسرائيل لوسيطه موسى وظهوره له في المليقة وامتحان موسى له
للتأكد من صدق الدعوة وقوة الروح المرسل ، نقف جميعاً للصلاة .

وهنا أقول بكل ما في كياني من قوة وحياة إنه إن كان هناك فضل للروحانية فيكون
تعليمي قوة الصلاة ومعناها . نعم لما كنت طالبا بكلية أسيوط سمعت مئات الصلوات ورفعت
العشرات منها ولكنها لم تكن سوى واجب فرض علينا أدائه في أوقات معينة . أما الآن

فعرفت أنها قوة حية عاملة ، لها تأثيرها في الكون من حولي ولها أكثر من كلمات تحفظها عن ظهر قلب ثم ترددها من حين لآخر .

بعد الصلاة نجلس في شبه دائرة وقد أمسك كل بيد جاره وكلنا خشوع وتعبد ، عالمين أننا في قدس أقداس الحياة حيث الشركة مع القديسين وتحت رعاية خدام النور وحراسهم .
داومنا على عقد جلساتنا في نفس المكان والزمان من كل يوم أحد ، وكان لحسن حفظنا أن تم لنا الاتصال بعالم الروح بعد وقت قصير لم نترك فيه بدون مشجع إذ من حين لآخر كنا نسمع نقرات في أماكن مختلفة من الغرفة بينما البعض كان يرى أضواء تظهر ثم تختفي وآخرون يشعرون بهبوب نسائم أو مرور شيء خفيف على جباههم كحيط حريري أو بشم رائحة ذكية أو ما إلى ذلك من مختلف الظواهر الدالة على أن هناك شيئاً غير منظور هو علة هذه الظواهر .

وهنا أقول إنه حتى وإن لم يشعر الجالسون بأي من هذه العلامات في بادئ الأمر فليعلموا علم اليقين أنه حال قرارهم بعقد الجلسات تقرأ أفكارهم من سكان عالم الروح فتتبع لهم هيئة حارسة تجري عملها في الخفاء حتى يحين الموعد فينتهزون أول فرصة ممكنة للاتصال اتصالاً مباشراً بالجالسين من جانبنا فقط فلنمهد لهم سبيل التأثير في عالمنا بشكل تستجيب له حواسنا ومشاعرنا .

وقد يكون بين الحاضرين وسيط مستكمل الوساطة وهو لا يدري قيمته في حضرته الاتصال بين العالمين وقد لا يوجد من يملك هذه الخاصة في دور النضوج وهنا يتحتم الاستمرار في عقد الجلسات بدون ملل أو كلال حتى تنمو تلك القوة الكامنة في كل منا وإن كان بدرجات متفاوتة ، وظلام غرفة الجلسات كقيل بانمساء هذه القوى الخفية فيها فهي سنة الطبيعة بعينها التي استلزمت الظلام لنمو الجنين في رحم الأم والبذرة في باطن الأرض .

وبهذا نطبق عملياً قول بولس الرسول « جِدُّوا المعوَّاب الروحية » فلنجد باحثين عن تفصيل مملكتنا الواسعة التي جمعت كل ما في الوجود ، فلنكن في أرضها إن شئنا ، أو في سماءها إن أردنا ولنعرف ما اشتملت عليه تلك المملكة الفيحاء من أشرار فنحذرهم لئلا يخرّبوها علينا ، ومن خيار فترعاهم وننصرهم — إنها مملكة غنية فلنبحث عما فيها من كنوز فنستخرجها .

وهنا أذكر بعض ما يجب مراعاته في عقد الجلسات والشروط اللازمة لضمان النجاح .

- (١) تعيين زمان ومكان مع مراعاة الدقة المتناهية في حفظ المواعيد .
- (٢) تأجيل وجبة العشاء إلى ما بعد الجلسة إذ أن امتلاء المعدة يعمق تقدم الظواهر بل قد يحدث قيئا إذا ما كانت الظواهر قوية .
- (٣) عدم وضع رجل فوق الأخرى حتى لا يعاق خروج مادة الأكتوبلازم تلك المادة الحيوية التي تلبس من أجساد الحاضرين أثناء الجلسة ، وترد عند انتهائها وعن طريقها يستطيع جماعة الأرواح التأثير في عالمنا المادى .
- (٤) يبدأ انعقاد الجلسات التمهيدية في ظلام دامس حتى يتم النجاح وبعد ذلك يستعمل النور الأحمر الضئيل أو أى لون آخر خلاف الأبيض ، إذ أن تموجات الأخير هادمة لمادة الأكتوبلازم .
- (٥) عدم تغيير أثاث الغرفة لأنها من جلسة لأخرى تشحن بقوة روحية تساعد على تقديم ما بلى من جلسات وكل يكون أفضل لو دشنت غرفة خاصة .
- (٦) لا يزيد عدد الجلسات عن مرتين أسبوعيا وكل مرة لا تتعدى الساعة .
- (٧) استعمال الموسيقى الصامتة إذا تمذر لإيجاد الانسجام بأى وسيلة أخرى .
- (٨) إذ اتفق وجود رجال وسيدات يكون الجلوس بالتساوب ، أى سيدة ثم رجل وهكذا .
- (٩) يحب دخول غرفة الجلسات وكل في حالة نفسية جيدة تاركا هموم العالم ومشاكل الحياة اليومية في الخارج ويدخل ليصرف بعض الوقت في الخلوة مع الله والتأمل في أسراره العجيبة التي تحتاط بنا .
- (١٠) منع دخول الأطفال أو من يشعر بتعب جسمى .
- (١١) كل يجلس في مكانه المعين وكل روعى عدم التغيير في أى شئ ما كان أدعى للنجاح وأسرع ، وهناك البعض مبالغة منهم في الدقة يحتفظون بملابس بيضاء خاصة بالجلسات .
- (١٢) التذرع بالصبر فقد تمر جلسة بل جلسات دون الشعور بشئ مشجع ، ولكن مما لا شك فيه أن هناك عملا يجري من وراء الستار وأن جماعة الأرواح أكثر شوقا منا إلى الاتصال بنا .
- (١٣) الاحتفاظ بسر الجلسات ما أمكن حتى عن أقرب الأقربين إلى أن يتم الاتصال والحصول على ما فيه البرهان المقنع .

(١٤) تدوين جميع الاختبارات عنها وسميها الهام منها والتأفة في ظاهره فسوف نخرج في النهاية بانسجام وتوفيق غاية في الدقة وشخصيا ساعدنى على هذا العمل وجود بعض أفراد العائلة بمصر كانوا شغوفين بالوقوف على اختباراتنا الروحية ، وحتى لا أحرمهم فكرت في إرسال رسالة أسبوعية تحت عنوان « الكون المنشور » ولم يدر بخلدى أنهم سوف يحتفظون بكل ما كنا نرسله لهم ، وفاجأونى مرة بمجموعة طيبة ، فآثرت الاحتفاظ بها ، ولم يتبادر لذهنى أنه فى يوم من الأيام سوف أطلب من عالم الروح بإخراج هذا الكتاب إلى عالم المادة إذ فى صباح يوم من أيام شهر يونيه سنة ١٩٤٤ ، وبعد زهرة خلوية شعرت بإلهام قوى فيه أعطيت عنوان الكتاب وأبوابه وعندها عرفت قيمة رسالة « الكون المنشور » ، إذ كانت كنبيع استقيت منه أغلب محتويات هذا الكتاب .

(١٥) حصر التفكير وتركيزه ، وأن يكون الجميع بنفس واحدة حتى يتوفر الانسجام ويسهل الاتصال فتشيت الأفكار له تأثيره المضاد .

(١٦) استرخاء جميع عضلات الجسم مع الاستسلام الكلى .

(١٧) أن ينظر للجلسات نظرة جدية ، فهى اتصال قدسى مع أرواح علوية أرقى منا إدراكا ، ومن أراد البحث فى موضوع جليل كهذا يجب أن يكون شديد الراس غير هازل أو مستسلم لتيارات الانفعالات النفسانية ، وإلا فإنه لا يستفيد شيئا هاما ولا ينتظر ارتقاء عقليا ولا استطلاعا لثقافة عالية ولا يجد سبيلا للوصول إلى فلسفة عميقة ولا يكون أهلا للخوض فى مدارك العالم ذى العلم الوافر .

ولو بلغت الحماقة أو الفطرسه بإنسان إلى التصور بأن تكوين الظواهر الروحية هو لغرض التسلية أو اللهو فليعلم أن أرواح العالم السمائى ليسوا بعبيد أرقاء يأثمرون أو يصغنون لنداء الطائشين ، وإنه خير له الاعتماد عن اللعب بالنار .

الفصل السادس

المثابرة أم النجاح

يوم مشهود في تاريخ حياتي ذلك هو يوم الأحد ١١ يونيه سنة ١٩٣٩ ، إذ تم لي فيه الاتصال بذلك العالم العلوى .

جلسنا كما دتينا بعد القراءة والصلاة وبدأ أخى نصحى مهمته بإدارة الفونوغراف ، وبعد ربع ساعة من جلوسنا شعرت بأصابع إيريس تنفرط مع شئ من التصلب ، وأخذ جسمها يميل إلى الخلف حتى مسند الكنبه الخلفي وبدأ قدمها في الارتفاع حتى مستوى الركبتين وبعددها بقليل مالت إزيس على وهي تهمس في أذنى عما اعترى نجية فعرفتها بدورى بما حدث لايريس .

وهنا سمعنا من يتكلم بلسان إيريس وبنبهة يتخللها شئ من الخشونة فقال بعد أن ألقى التحية : « نوم الوسيطة يا نصيف افندى على الكنبه » ، وعلى ضوء النور الأحمر الذى سمح لنا به ، قت وأنا أتمتر من شدة الفرح ، وبمعاونة إزيس أرحت الوسيطة على الكنبه التى كانت تجلس عليها اتباعا لأوامر مرشدها الروحى وبعددها مددنا جسم الوسيطة الأخرى على الكنبه المقابله لها ، وسمعنا صوتا رقيقا ياقى علينا تحية الساء بلفه عربيه ركيكه تدل على حداثة متكلمها فرددنا التحية وقد علا جبين أعضاء الدائرة موجة من السرور وأخذوا يتغامزون قائلين من يدري ربما رجل وزوجته ، وعند هذه الكلمه انفجرت صاحبه الصوت الرقيق بضحكه عاليه لم تدع مجالا للشك فى أن صاحبه سيدة ، بعددها شعرت بكلمه « فيدا » تسقط فى رأسى سقوطا ، ولكنى حاولت طرد الفكرة كأنها من عنديأتى لسابق معرفتى وقراءتى عن هذه الروح المرشده ثم وجهت السؤال إلى صاحبه الصوت طالبا معرفه اسمها فكان الجواب بعد أن سمعنا ضحكه عاليه كلها مراح و سرور « انت عارفه يا نصيف افندى » دهشت لهذا الرد وأعدت السؤال مستفسراً عما إذا كانت هى الأنسه فيدا فكان الرد بالإيجاب .

اعترفت لباقي الأعضاء بكيفية معرفتى الاسم وأنا فى دهشة من هذه البيئه ، ورحبت بالآنسه فيدا كل الترحيب ثم تركتها لغيرى يتحدث معها لأبى طلب السيد . سألته اسمه ولكنّه رفض مؤجلا إياه لوقت آخر .

بعد برهة من الزمن قضيناها في الترحيب والتحدث مع الزائرين ألقيا علينا السلام بعد أن أملانا السيد بعض التعليمات اللازم اتباعها في عقد الجلسات .

وعلى أثر انصرافهما رجعت الوسيطتان إلى حالتهما الطبيعية ، وبعد استرجاع وعيهما سألت كل منهما ما اختبرته ، فقالت الواحدة شعرت بشغل في الرأس أعقبه ميل للنوم ثم فقدان الشعور بينما الأخرى رأت نوراً ساطعاً وجه نحوها وعلى أثره لم تشعر بما تم .

لم أكن أطمع في الوصول إلى الاتصال بالآنسة فيدا وهي الروح المرشدة للوسيطات الإنجليزية الفذة « مدام اسبورن ليونارد » Mrs. Osborne Leonard التي قدمت خدمات جليلة الشأن للعلامة السير أولفر لودج ومكنته من الحصول على الأدلة القيمة على صدق مناجاة الأرواح .

وهنا أقول إنه من شدة السرور لم يعرف النوم إلى عيني سبيلا ولم يغمض لي جفن وأمضيت الليل كله في تفكير وتأمل في عجائب الكون وأمراره التي تكتنفنا من كل جانب فلنا عيون ولكنها لا تبصر ولنا آذان غير أنها لا تسمع .

تواردت الأفكار وجاءت إلى ذاكرتي بعض الآيات الكتابية والاختبارات الروحية والتي تشبه ما نحن بصدده وتبرهن على صدقه : —

تك ١٥ : ١٢ ولما صارت الشمس إلى الغيب وقع على أبرام سبات وإذا رعبة مظلمة واقعة عليه .

وبعد تخاطب الرب مع إبرام وعند انصرافه يقول في عدد ١٧ ثم غابت الشمس فصارت العتمة وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع .

ففي هذه الآيات وأمثالها نرى وجوب الظلام لاتصال العالمين .

الملوك الثاني ٣ : ١١ فقال يهوشافاط أليس هنا نبي للرب فنسأل الرب به ؟ فاجاب واحد من

عبيد ملك اسرائيل وقال : هنا البشع بن شافاط الذي كان يصب ماء على يدي إيليا — ١٢ —

فقال يهوشافاط عنده كلام الرب فنزل إليه ملك اسرائيل ويهوشافاط وملك ادوم — ١٤ —

فقال البشع حي هورب الجنود الذي أنا واقف إمامه أنه لولا اني رافع وجه يهوشافاط

ملك يهوذا لما كنت انظر اليك ولا أراك ١٥ والآن فأتوني بعواد ولما ضرب العواد بالعود

كانت عليه يد الرب .

وهكذا نرى ما للموسيقى من ضرورة لاتصال العالمين اذ في حضرة المواد وعلى نفمة

العود وفع اليسع النبي تحت هيمنة مرشده وأنا أرجح كثيرا أنه كان إيليا النبي . وجاءت النبوة للملوك بالنجاة والغلبة . اخبار الأيام الثاني ٥ : ١٣ « وكان لما صوت المبرقون والغنون كواحد صوتا واحدا لتسبيح الرب وحمده أن البيت بيت الرب امتلأ سجابا (اكتبوا لازم)

« لما سجابة من الشهود مقدار هذه تحتاط بنا »

يو ١٤ : ١٦ ، ١٧ « وأنا أطلب من الأب فيعطيك معزيا آخر ليحك معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع المسلم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ما كثر معكم ويكون فيكم » .

« وأنا أقول لكم اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم . لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له فمن منكم وهو آب يسأله ابنه خبزا أفيعطيه حجرا أو سمكة فيعطيه حية بدل السمكة أو إذا سأله بيضة أفيعطيه عقربا فان كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالجرى الأب الذي من السماء يعطي

الروح القدس للذين يسألونه » مز ٣٤ . ٧ « ملاك الرب حال حول خائفة وينجيهم » .

وهكذا فتح الطريق أمامي ولاح لي كما لو أن قوة خفية كانت ترعاني على الدوام حتى وفقت إلى ما كانت تصبو إليه نفسي وتشعر بحنين إليه وهي تجهله . فانصلت بالحياة الأخرى تلك الحياة التي لا تزال قلوب المؤمنين بالأديان والمعتنقين لشتى المذاهب مفعمة بالشك في وجودها وعلى الأخص عند معظم التنويرين من الناس لكثرة الأوهام المتساقطة على عقولهم من رهبة الموت .

فالمرت ما هو إلا باب لحياة جديدة حيث العمل والاطلاع والتدرج في سبيل الارتقاء الحق وأن به تدق ساعة الأبدية أول دقائقها الخافتة إيدانا بتجديد عهد الترعير في الوجود الصحيح والتطور في دور الإنسان الحقيقي الكامل في ظل الهناء السرمدى والسعادة الأبدية .

ورغم عدم إعطاء الجسم ما يستحقه من راحة إلا أن هناء النفس وما تمتعت به من نور سماوى عوض كل تعب ولم أرجع إلى الشعور بعالم المادة إلا أمام نور الصباح وقد أخذ يقسلل من النافذة واستقبلت يوما شائقا جميلا من أيام شهر يونيه وكأن نغم الطليعة يفتقر عن ابتسامة السرور العميق المستمد من رقة العالم الروحي الأثيرى .

وهكذا لاح لي تلك البارقة العظيمة الشأن من العالم المجهول وهذه البارقة إما أن تذروها الرياح أو تتوطد كصخرة أقامها الله . وطوبى للجياع والمطاش إلى البر لأنهم يشبعون .

الفصل السابع

انقضاء عمر العقل الباطن

مع أننى وجدت البلاد حقاً كصحراء جرداء من هذه الناحية لم أفقد الرجاء بالمستقبل وعقدت النية على إتمام غايى مهمما كلفنى الأمر ، لأن شدة شغفى بهذا البحث كانت فوق كل شدة وضمت على اقتحام ميادين هذا العلم الذى أتيت أول أبوابه مهما أدى بى الصير .

سرنا مدفوعين بروح الأمل وبشغف لا مزيد عليه عاقدين جلساتنا مرتين أسبوعياً حسب التعليمات التى أعطيناها فأضفنا يوم الخميس إلى يوم الأحد ، وكانت أغلب الجلسات تمضى فى تمرين الوسيطتين ، وهنا أقول إن التمارين فى حد ذاتها وما بلغت من العنف والشدة كانت أكبر برهان على وجود قوات تعمل معنا خلف الأجسام المادية المنظورة لنا وبشكل استرعى أنظار الجميع حتى الماديين من أفراد العائلة .

تصور فتاة لا تعرف من الرياضة البدنية حتى مجرد الاسم نائمة على ظهرها فى تحشب تام يبدأ جسمها فى التقوس حتى يرتكز كل الثقل على هامة الرأس وأطراف أصابع القدمين مع امتداد اليدين إلى أعلى ومع ذلك تستمر مرشدتها فى الحديث معنا كأن ما يحدث لوسيطتها شئ ، ثانوى لها .

وحدث مرة أن كان التمرين عنيفاً ومن خوفى على أختى انحنيت على الأرض فبدأت لها مازحاً « اعملى معروف يا آنسة فيدا حاسبى على وسيطتك لئلا تنكسر رقبتك أو يحدث بها التواء » .

فسحكت ضحكتها المعهودة وقالت :

« لا تخف يا نصيف افندى فنحن نخاف على الوسيطة أكثر منكم فهى لنا بمثابة كنز ثمين إذ عن طريقها فتح لنا باب العالم المادى ونطلب من الروح الأعظم أن يمدنا جميعاً بقوته حتى نستطيع إنفاذ ما يمكن من نور عالمنا البهى إلى ظلمة عالمكم الحالك ، ولا تنس أننى لست بمفردى ، بل هنا أطباء كانت لهم شهرتهم فى عالمكم وهم يحضرون فى كل جلسة ليشرفوا على ما أقوم به من تمارين للوسيطات ثم العمل على إرجاع الوسيطة إلى حالتها قبل الوقوع فى الغيبوبة دون أن تشمر بأى تعب جسمانى » .

وهذا ما كان يحدث بالفعل ، فرغم ازدياد التمارين شدة في كل مرة حتى بلغت درجة تحدث فيها قانون الجاذبية ، كنت أسأل الوسيطتين بعد استرجاع وعيهما عما إذا كانتا تشعران بتعب ما فتجيبان بالنفي متسائلتين عن الدافع لمثل هذا الاستفسار .
وعندما تبدأ بوصف ما قامتا به من تمارين عنيفة كانت تظهر على وجهيهما علامات الريبة لولا وجود ما يبدنا من « فوطة » ابتلت بالعرق المتصبب منهما تقدمها كبرهان لتعزيز أقوالنا .

وبعد زمن قصير استطعنا أن نرى نتيجة محسوسة في استدارة جسمي الوسيطتين وقد أصبح لكل منهما جسم رياضي بفضل تلك التمارين بعد أن كان مترهلا بمض الشيء .
في أثناء هذه الجلسات التدريبية التي امتدت زمنا غير قصير كنت ألح على السيد من وقت لآخر بذكر اسمه وكثيراً ما حاولت الوقوف عليه من الآنسة فيدا فكانت تماطلني بشيء من الدلال واخيراً اعترفت لي صريحاً بما لديها من أواخر بعدم الإباحة به .

أخيراً وبعد أن يؤتت ركنت إلى الصمت ولم أعاود تكرار السؤال عن الاسم حتى فاجأنا هذا السيد بالقول إنه سوف لا يموح بالاسم إلا عند الاستاذ أحمد فهمي أبو الخير .
تصادف حلول موعد العطلة السنوية واتباعاً لطلب هذا السيد سافرت بصحبة أعضاء الدائرة بعد أن اتصلت بالاستاذ خطابياً شارحاً له الموقف فأذن لنا بالحضور للقاهرة لعقد جلسة خاصة طرفه .

وصلنا إلى منزل الأستاذ حيث قادنا إلى غرفة الجلسات وهناك أحضر طاولة وقد حفر على حافتها المستديرة الحروف الأيجدية ووضع الكوب في وسطها ثم قام بتعصيب الوسيطتين وحان لمسهما الكوب باصبعيهما سار بقوة وبسرعة مذهشة مشيراً إلى الأحرف ه . و . ي . ت — ه . و . ك .

فدهشنا جميعاً لهذه المفاجأة الغير منتظرة وخصوصاً أنا وقد كان الأحق بي أن أعرفه قبل غيري لما سبق واختبرته شخصياً معه ولكن هكذا غاب الاسم عن ذاكرتي كلية .
فلقد كان مخيلتي أو على حد قول جماعة الساديين من السيكلولوجيين يعقل الباطن اسماً فيدا وهويت هوك ولكن لسبب ما يعرفه هذا العقل دون صاحبه أظهر أحدهما وحجز الآخر حتى يكلفنا مشقة السفر والانتقال من بلد لآخر .

ولكن هذا ما حدث وكأن جماعة الأرواح قصدوا إعطاءنا هذا الاختبار كدليل مجسم على أن مناجاة الأرواح ليست تخاطباً فكرياً كما يفسره البعض أو تأثير العقل الباطن كما يفسره

البعض الآخر أو وليد تفكير الحاضرين وهي فكرة أشد سخافة من التخاطب الفكري والعقل الباطن .

وحقيقة الواقع أن اسم فيدا ألهم لي وأمسك الآخر رغم أن اسم هويت هو ك كان معروفاً حتى للوسيلة نفسها التي سبق وقرأت ما نشر عنه بالجرائد بقلم الاستاذ أبو الخير فكان من السهل على عقلها الباطن أن يظهره لنا .

بهذا الاختبار الواضح وضوح الشمس في رابعة النهار استطعت أن ادق آخر مسار في كفن التخاطب الفكري وشيئت نظرية العقل الباطن إلى مقرها الأخير ودفنت فكرة أن الأرواح واعدة الفكر وهلت عليها ما استطعت من تراب .

وعلى ضوء هذا الحادث أذكر حادثاً آخر وقع لي ذات ليلة إذ حلمت حلمًا سبب لي انزعاجاً شديداً إلى حد أني عند الاستيقاظ صباحاً بكيت لهول ما فيه من انذار بشر مستقبل واهيراً استلقيت على ظهري مسترخياً جميع عضلات الجسم وطلبت من أعماق القلب وبتألف إرشاداً ما .

وللحال شعرت بكلمة "Nightmare" تسقط في رأسي بشكل قاطع لـكل شك في أن الكلمة ليست من عندياني . أو وليدة العقل المزعوم . والجهلي معنى الكلمة وقتئذ فت مسرعاً إلى مكتبي وفتحت القاموس لأبحث عن معناها وعند الوقوف عليه شعرت بالثقل الذي كان جاثماً فوق صدري نتيجة الحلم المزعج يزول كما لو أن قوة سحرية أبادته ومن شدة ما أصبحت فيه من سرور وفرح وانتعاش نفساني قطعت الغرفة ذهابة وإياباً وأنا أرقص من شدة الفرح لهذا الاختبار الروحي النعش .

إلى هنا أكتفي بذكر هذا الاختبار والذي تكرر في مواقف عدة ، لأوجه كلامي إلى مدعي المعرفة بعلم النفس علمهم يستطيعون تفسير هذه الحوادث على أساس نظرية العقل الباطن وفي ضوء ما وصل إليه علمهم وقد اساءوا إليه اسماً وعملاً .

هل ما زال المتعنتون منهم يفسرون هذه الحوادث بكونها تخاطباً فكرياً أو يسبونها إلى ذلك العقل المزعوم وليد عهد الجهل والمادية ؟

هل قصد هذا العقل إعطاء الدليل على صحة وجوده فاعطانا اسم الأنسة فيدا وحجز اسم السيد هويت هو ك مع أن كلا الاسمين كانا معروفين لديه ومخزونين في خزانته ؟ !

وقد حدث فعلاً أن سرت اختبار الحلم لأحدهم طالبا التعليل فقال إن كلمة Nightmare اندست على غير وعي مني نتيجة قراءتي إياها في وقت سابق وبدون وعي مني خرجت وظهرت .

تعليل مدهش ومثير كدت أفقد له وعي . فليكن أنى قرأت هذه الكلمة فى وقت سابق ولنجارىهم بالقول إنها اندست فى ذلك العقل المزعوم ألم تندس معها أيضا كلمة كايوس وهى بطبيعة الحال أسهل بالظهور من اللفظة الإنجليزية ولا سيما أن صاحب هذا العقل من أبناء لغة الضاد !

ولكن هو العقل الباطن صاحب الألاعيب البهلوانية وصانع كل ما هو فوق الإدراك أراد مداعبة صاحبه ، فأبى إلا أن يتجمل شخصية المم جون يول وتلفس بإعطاء الكلمة بلغة شخصيته المتجمل .

ألا كفاكم ياسادة من هراء وتخريف باسم العلم وهو منكم برىء ، وكفوا عن فلسفة الكلام والسير وراء الخيال الباطل وانزلوا إلى عالم الحقيقة وفسروا الأشياء بمعللاتها الأصلية وكما يستسيغها العقل السليم .

إننا ياسادة نعيش فى القرن العشرين عصر العلوم النفسية ، وعين التاريخ البشرى لم تكتحل فى أى دور من أدواره بمثل ما تشاهد الآن من اهتمام بالعلوم الروحية ، ومجهودات تبذل فى دوائر الحياة المختلفة لاستخدام هذه العلوم فى الشئون الحيوية وإقامة صلة وثيقة بينها وبين مطالب الحياة العملية .

ففضل علم الروح الحديث فى إنارة أذهان البشرية وقشع ظلمات الجهل الخيمة على العقول وتبديد سخف الخرافات المتلبدة فى أجواء النفوس ، لا ينكر . فكم من مكتوم فضحه علم الروح الحديث بنوره ، وكم من أسرار وحجب هتك أستارها فأرجع تلك الظواهر العجيبة إلى مصدرها وهو الروح .

فالعقل الباطن والذى تغنى به جماعة الماديين من السيكلولوجيين زمنا ليس بالقصير ما هو إلا النفس أو العنصر الخالد والى باتحادها مع العقل تكون الروح أو شخصية الانسان كاملة . وخير الطرق وأجداها لأمثالهم هى أن يختبروا هذه الحقائق العظمى بطريقة غير طريقةهم الحالية ، وأن يقلع الذين لا يزالون يتمسكون بنظرية العقل الباطن والتخاطب الفكرى عن التثبت برأيهم وإلا صاروا كذباب بشرى يمف على حشائش الثقافة القذرة . والمسألة لا تتمدى تغيير أسماء واستبدال كلمات فلنمج كلمة عقل باطن ونضع مكانها كلمة « نفس » وبهذا يكون علمكم اسما على مسمى ويفتح أذهانكم الجانب باقى على أبحاثكم ضوءاً لامعا به تستطيعون حل كل ما يغمض عليكم إدراكه .

افتحوا صدوركم للأبحاث الروحية ونادوا بانقضاء عهد العقل الباطن كما نادى من قبلكم أئمة علمكم وفى مقدمتهم فرويد نفسه صاحب النظرية معترفين بوجود النفس وخلودها بعد موت الجسد .